جغرافيةُ بلادِ الأندلسِ وأثرها في اتخاذِ الرهائنِ:

تقعُ شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية في الجنوبِ الغربي منَ القارةِ الأوربيةِ تفصلها مِنَ الشمالِ عن جنوبِ فرنسا جبالُ أَلبرت أو البرتاب (Pyrenees) ويفصلها عِن الجنوبِ حدوداً للقارة الأوربية عن إفريقية مضيق جبل طارق الذي يبلغُ عرضه من الشرقِ إلى الغربِ ١٣-٣٧ كم، وتقعُ سواحلُها الشماليةِ والشماليةِ الغربيةِ على المحيطِ الأطلسي عندَ خليج بِسقايه (Biscay) وتقع سواحلها الغربيةِ على المحيط الأطلسي، وتقع سواحلها الشرقيةِ والجنوبيةِ الشرقيةِ على البحِر المتوسط ويسمى بالبحِر الرومي أو البحر الشامي أو بحرِ تيران[١] .

وجزيرةُ الأندلسِ محاطةٌ تماماً بمياهِ البحرِ المتوسطِ والمحيطِ الأطلسي باستثناءِ شريطِ ضيقِ في الشمالِ يبلغ عرضه أقل مِنْ ثلاثمائة ميل ويتصلُ بالحدودِ الجنوبيةِ لفرنسا حيثُ تُقعُ جبالَ البرنيه[٢] التي جعلتْ إسبانيا منعزلةً تماماً عَنْ أوربا[٣] .

(١) عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط٢، دار القلم، دمشق بيروت ١٩٨١م، ص ٣٥، ٣٦.

(٢) جبال البرنيه: هي سلسلة من الجبال تمتد على مسافة ٤٤٠كم من خليج بسكاي في الغرب إلي البحر المتوسط في الشرق ويبلغ ارتفاعها في أعلى قممها ٣٤٠٤كم وسفوحها الشمالية تقع في فرنسا، بينما تقع سفوحها الجنوبية في إسبانيا، فهي تفصل شبه الجزيرة الأيبيرية عن فرنسا، وقد عبرت المراجع العربية عن جبال البرانس باسم جبل " البرتاب " أو جبل " البرت"، وأن هذه التسمية مأخوذة من التسمية اللاتينية (Portus) ومن الإسبانية (Puerto) ومعناها المنفذ؛ والمرور عبر بواباتها الأربع أمرا صعبا، ويزيد من صعوبته أن أقام بالجهة الغربية من هذه الجبال البشكنس، وكانوا يضايقون من يحاول عبور البرتاب من ناحيتهم، وفعلوا ذلك مع شارلمان (٧٦٨- ٨١٤م) وأصابوه بنكبة في رونسفال، وقد تنبه العرب لذلك فكانت معظم غزواتهم من الناحية الشرقية. إينهارد: سيرة شارلمان، ترجمة وتعليق عادل زيتون، دار حسان، دمشق ١٩٨٩، ص٧٤؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية وأصولها الجغرافية، دار عين للدراسات والبحوث، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٨، ٩.

(٣) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٤٨١؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، دار المنار للنشر والتوزيع، دمشق٢٠٠٣م، ج١، ص ٨٨.

وتتباين الخصائصُ المناخيةِ لشبهِ جزيرةِ الأندلسِ، حيثُ نجدُ أنَ جبلَ الشارات[١] يقسمها مِن الوسط، فيختلفُ شمالُ الأندلسِ عن جنوبها ، فلكلٍ منهما طابعهُ المناخي الخاص، فالجنوبُ له مناخ الشمالِ الإفريقي أو حوض البحر المتوسطِ، والشمالُ لهُ مناخُ أوربا ببردها وصقيعها، وقدْ أثَّر هذا التنوعُ في المناخ وفقرِ البيئةِ الشماليةِ وجفافِها الشديدِ وصعوبةِ التضاريسِ فيها في أمزجة الناسِ وطباعهم حتى أنك لتجدُ الأندلسي الشمالي يتصفُ بالخشونةِ والقسوةِ والعصبيةِ بخلافِ الأندلسي الجنوبي الذي يتصفُ بالهدوءِ والمسالمةِ، وكان هذا مِنْ العواملِ التي زادتْ مِنْ التناقضِ بينَ سكانِ الأندلسِ، وبينَ سكانِ الممالكِ النصرانيةِ، وساعدَ على استمرارِ هؤلاءِ الإسبانِ في مقاومتِهم لمسلمي الأندلسِ عدة قرونٍ[٢] .

وتتنوعُ الخصائصُ الجغرافيةُ للأندلسِ[٣] من تباينٍ في سطحِ الأرضِ وتَقَطَّعِهَا الحادِ وتعددِ الأقاليم المناخيةِ والغطاءِ النباتي وأنماطِ الحياةِ الزراعيةِ، وتخترقُ سلاسلُ الجبالِ إسبانيا مِن الداخلِ، فلا تترك سوى أرضاً صغيرةُ المساحةِ منخفضةً[٤]، وأكثر مظاهرَ التضاريس شيوعاً في شبهِ الجزيرةِ الأيبيرية الجبالُ، حيثُ تنتشرُ السلاسلُ الجبليةُ الضخمةُ في كل اتجاهٍ وتفصل تماماً بين المناطقِ المتمايزةِ، وتتميزُ جبالُ إسبانيا بالقسوةِ والعزلةِ، كما أنها شاهقةُ الارتفاعِ[٥] .

---

(١) جبل الشارات: هو سلسلة جبال تسمي سيارا مورنيا (guadarrama) وتمتد من مدينة سالم إلي قلمرية في البرتغال، وهي تفصل بين الأندلس وقِشْتَالَةُ ولفظة الشارات تطلق أيضا على إقليم يسمي إقليم الشارات ومن أعماله مدن طلبيرة وطليطلة ومجريط وأقليش ووادي الحجارة. ابن خلدون: تاريخه، ج١، ص ٨٤؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري، القاهرة (د. ت)، ص ٦٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص١٦٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص٤٧، ص١٣٤؛ رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٦٤.

(٣) خريطة توضح جغرافية الأندلس: انظر ملاحق الرسالة ص٣٣١.

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ١١، ١٢.

(٥) كولان، ج؛ س: الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دار الكتاب المصري، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٧٥. Crow , Spain the root and the flower , op , cit , p2 .

هذا بالإضافة إلى الوديانِ الطويلةِ التي توازي الأنهارَ الكثيرَة التي تمتدُ منَ الشرقِ إلى الغربِ أو بالعكسِ، وتفصلُ هذهِ الوديانَ بعضها عن البعضِ الآخر سلاسلُ جبليةٌ تسيرُ في نفسِ الاتجاهِ وتقطعُ الجزيرةَ بالعرضِ(١)، وفضلاً عن ذلكَ تميزُ الأنهارُ في الأندلسِ بسرعةِ الجريان، فكانت عائقاً للملاحةِ معظم شهورِ السنةِ، حيثُ فشل النورمان(٢) في اقتحامها أحياناً، وتميزُ كلُ منطقةٍ مِنْ هذه المناطق بخصائصَ جغرافيةٍ ومناخيةٍ وثقافيةٍ ونفسيةٍ وحتى لُغَوِيّة تختلفَ عنِ الأخرى، وهذا أعاقَ تطورَ مجتمعِ شبه الجزيرةِ إلى أمةٍ واحدةٍ(٣)(٤)، وتشكلُ هذه المشاعرُ المحليةُ أحدُ مظاهرِ الضعفِ الأساسيةِ لأي نظامٍ، وزاد العربُ على تلك المصاعبِ الطبيعيةِ اختيارهم موقعَ العاصمةِ بعيداً إلى الجنوبِ، وتم اختيارهُمْ لها لأنها تتوسطُ إقليماً خصبًا(٥)

وموقعُ وجغرافيةُ الأندلسِ البعيدِ والمنعزلِ عن الدولةِ الإسلاميةِ هيأ لها الفرصةَ لأن تتخذَ لنفسها في وقتٍ مبكرٍ طريقاً مستقلاً عن الدولةِ الإسلاميةِ العامةِ، سياسياً ومذهبياً، ويعودُ ذلك إلى سنواتٍ قليلةٍ من الفتحِ، فلا نجدُ في مصادرِنا خبراً بأن الأندلسَ أرسلت مالاً إلى حاضرة الدولة، مع أنها قِطْرٌ عظيمِ الجباية، وأن أهل الأندلس غالباً ما يختارون

---

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٦٥.

(٢) النورمان: هم مجموعة الشعوب التي سكنت حوض بحر البلطيق (Baltic) وشبه جزيرة إسكندیناوة (Scandinavia) وشبه جزيرة الدانمرك (Danes) وقد ذكر هؤلاء الأقوام في التاريخ بعدة أسماء ، فالمصادر الإسلامية قد أطلقت عليهم في الأعم اسم المجوس، ويرجع هؤلاء النورمان في أصلهم إلي العنصر الجرماني (Germani) وموطنهم الأصلي هو شبه جزيرة إسكندیناوة تمرسوا على ركوب البحر واشتهروا بجرأتهم . ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، ط ٢، القاهرة ١٩٨٩م ، ص ٧٨ ؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢؛ ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م، م ٤، ج ١٣، ص٣؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٦١ ، ٢٦٢.

Contor (N. F): Medieval History The Macmillan Company .New York 1964،P.121.

(7) Crow , Spain the root and the flower , op , cit , p1 .

(٤) يرجع الباحث عدم تطور مجتمع الأندلس إلي أمة واحدة إضافة إلي ما سبق هو ترك فريضة الجهاد في سبيل الله، وذلك لأنها تجمع المسلمين كلهم تحت راية واحدة دون تميز، فعندما ترك المسلمين في الأندلس فريضة الجهاد وتحمل مسئولية نشر الدين للذين يلونهم من الكفارظهرت وتفشت المشاكل فيما بينهم ومن بينها العصبية، فكان بقاؤهم في الأندلس حتما إلي زوال ، وخصوصا أنهم بجوار أعداء تتربص بهم وتمد يد العون والمساعدة لكل خارج عن السلطة المركزية .

(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٢٧.

وُلاَتَهم وكانت الدولةُ ويمثلها ولاة المغرب تَرضَى بهذا الواقع الذي لم يكن بإمكانها تغييره، بل بسكوتها أضفت عليه طابعاً شرعياً[1] .

وتركتْ الطبيعةُ الجغرافيةُ أثرها على الاستيطانِ الإسلامي الأول وهو بدوره ترك أَثَره على الوجودِ الإسلامي ذاتهِ، فانتشرَ العربُ على نحوٍ خاصٍ لدى الأراضي الخصبةِ المنبسطةِ بأحواضِ الأنهارِ الكبيرة في الجنوبِ والشرقِ، في حين اختارَ الكثيرُ منْ البربرِ أن يسكنوا في المناطقِ الجبليةِ وبخاصةً الوسطى التي سبق أن أَلِفُوا مثلها في وطنهم ببلاد المغربِ، وهذا الاستقرارُ خضعَ لتطوراتِ التاريخ الأندلسي وأحداثهِ المتعاقبةِ والمتناقضةِ[2] .

ولقد تفاوتت أيضاً الكثافةُ العدديةُ للسكانِ بسببِ الطبيعةِ الجغرافيةِ للأندلسِ، فجعلَ المسلمون مدينةَ قرطبةَ نواةَ استقرارهمِ بحكمِ موقعِها، وكانتْ أعدادُ المسلمينَ قليلةً في جليقية Galicia[3] وذلك لبعدها أولاً وغيوهاَ و برودتها ثانياً، كما أن الأراضي التي تلي جليقية شرقا تحيط بها جبال كنتبريه Contabria التي تقعُ في أقصى الشمال الغربي من الأندلس، وهي جبالٌ شديدةُ الوعورةِ، وكانت بها بقايا قوطية، تركها العرب وشأنها، لذلك تهيأت الفرصة لنصارى الشمال كي توجدَ لهم نواةٌ صغيرةٌ في جبال كنتبريه، هيأت لهم فترةَ حضانةٍ فأخذت تنمو وتشتدُ داخلَ هضابِها النائية، وأصبحتْ نواةً للمملكةِ النصرانيةِ القويةِ بسببِ ما يجري من

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ١١، ١٢.

(٢) خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار الكتاب الجديد المتحدة – بيروت ٢٠٠٠م ، ص٨٠ ،٨١؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ ، ٣٧.

(٣) جليقية: أو اشتوريش (Asturias) أو (أستورياس تمتد من ولاية بسكونية شرقاً إلي المحيط غرباً، ومن خليج بسكونية شمالاً حتي نهر دويرة جنوباً وهي هضبة قاحلة، وتعد من المناطق الوعرة جداً وتتميز بقساوة المناخ، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها وبلد الجليقيين سهل، والغالب على أرضهم الرمل وأكثر أقواتهم الدخن والذرة، ومعولهم في الأشربة على شراب التفاح والبشكة وهو شراب يتخذ من الدقيق، وأهلها أهل غدر ودناءة أخلاق وفيهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء ويرون الموت دونه، وقد أعتقد الفاتحون أنها ليست ذات أهمية بالنسبة إليهم فأغفلوها، وقد استغلت بعض فلول القوط المنهزمة هذه الظروف، فلجأت إلي هذه الجبال واختفت فيها تنتظر الفرصة المواتية للتجمع والاستعداد لمقاومة الفتح الإسلامي للأندلس، أما المسلمون فقد استهونوا أمر هذه الأماكن، وقلة عدد القوط الملتجئين إليها، فتركوهم وشأنهم . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٥٤؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٧، ص١٣٤.

حروب بين العصبياتِ العربيةِ والبربرية فِي أواخرِ عصرِ الولاةِ[١]، ولقدْ استفادَ هؤلاءِ النصارى مما حدث من تغيرات وتوسعوا بحدودِ مملكتهِمِ الناشئةِ لتسيرُ هذهِ الحدودُ معَ جبال كنتبريه في امتدادها غرباً، ثم التوائها جنوباً لتصلَ على مقربة من نهر المنيو Mini[٢].

وتركتْ الطبيعةُ الجغرافيةُ أَثَرَهَا على سكانِ شبهِ الجزيرةِ الذين عاشوا في مجتمعاتٍ صغيرةٍ منعزلةٍ عن بعضها البعض، تختلفُ فيما بينها في أنماط الحياةِ ودرجات الحضارة وطرقِ التفكيرِ فأدى ذلك إلى بروز النزعةِ المحليةِ التي ترتبت عليها أكبر مشكلةٍ واجهت الأندلسَ وهي التعددية السياسيةُ فالأندلسُ (وإسبانيا كذلك) لم تكنْ دولةً واحدةً في فتراتٍ طويلةٍ من تاريخها فكانت ممزقةً تحتَ سيادةٍ اسميةٍ، والفترةُ النموذجيةُ التي حَظِي خلالها الأندلس باستقرار سياسي واضح هي فترة الخلافة:

(عصر الناصر،[٣] والمستنصر،[٤] والدولة العامرية[٥])، وهي فترة لا تتعدى في مجملها

---

(١) عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٨٣؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ - ٣٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٤٩.

(٢) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٦ – ٣٨ .

(٣) الناصر: هو عبد الرحمن بن محمد، الذي قتله أخوه مطرف، ابن الأمير عبد الله؛ كنيته؛ أبو المطرف؛ لقبه: الناصر لدين الله؛ أمه: أم ولد تسمي مزنة، ولي في اليوم الذي توفي فيه جده الأمير عبد الله وبويع له فيه، في مستهل ربيع الأول سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م)، وهو أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الأموية في الأندلس، وتوفي يوم الأربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م)؛ فكانت خلافته (٥٠ سنة) وستة أشهر وثلاثة أيام؛ وكان عمره (٧٣ سنة) وسبعة أشهر . ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٤٧٦؛ ابن الأبار: الحُلَّة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥،ج١، ص ١٩٧؛ ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٩م، ج١، ص ١٨١؛ ابن عذاري: البيان المغرب ،ج٢، ص ١٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٣٢؛ الذهبي: العبر، ج١، ص ٤٣٨.

(٤) المستنصر: هو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل، كنيته: أبو المُطرف؛ أمه: اسمها مهرجان؛ بويع له بعد موت أبيه لثلاث خلون لرمضان سنة (٣٥٠هـ / ٩٦١م) وأبدي إهتماما كبيراً بالعلم والعلماء وتوفي سنة (٣٦٦هـ / ٩٧٦م) وكان عمره: (٦٣) سنة وسبعة أشهر فكانت دولته خمس عشرة سنة، وسبعة أشهر، وثلاثة أيام . ابن الأبار: الحُلَّة السيراء، ج١، ص ٢٠٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢، ص ٢٣٢؛ خوليان ريبيرا: التربية الإسلامية في الأندلس، ط٢، ترجمة الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٤، ص١١ .

(٥) الدولة العامرية: قامت الدولة العامرية على يد محمد بن أبي عامر وذلك بعد أن تخلص من خصومه بعد وفاة الحكم المستنصر سنة(٣٦٦ هـ/ ٩٧٦م) و اتخذت الدولة العامرية شرعيتها من حماية الخليفة هشام المؤيد والحكم باسمه، وأنفرد محمد بن أبي عامر بالسلطة وتسمي في عام (٣٧١هـ / ٩٨١م) بالحاجب المنصور ودعي له على منابر المساجد، وإستيفاء لرسوم الملوك كانت الكتب تنفذ عنه وأخذ الوزراء وكبار أعيان الدولة بتقبيل يديه وتبعهم وجوه بني أمية ، وقام ببناء مدينة الزاهرة سنة(٣٦٨ هـ/ ٩٧٨م) وأنتقل إليها سنة (٣٧٠ هـ/ ٩٨٠م) ونقل إليها خزائن الأموال والأسلحة وإدارات الحكومة وحاشيته ووزراءه متخذا سمة الملك فيها ، فجلس على كرسي الملك وأمر أن يحيي تحية الملوك وجعل له حرسا خاصا من البربر والصقالبة وتلقب

مائة عام (٣٠٠- ٣٩٩هـ/٩١٢- ١٠٠٨م)[١].

استفادَ ثوارُ الأندلسِ من طبيعة الأندلس الجغرافيةِ ومن وعورة أقاليمها وانقطاعها واكتفائِها بنفسها لآمادٍ متطاولةٍ، مما سَهَّلَ عليهمْ إعلانَ العصيانِ والالتجاءِ إلى المناطقِ المنيعةِ فضلاً عن وفرةِ القلاعِ وحصانتها، وتعذُر سبلِ الوصولِ إليها، ويذكرُ ابن الخطيب أن مِنْعَةَ البلادِ وحَصَانَةَ المعاقلِ من أحدِ أُسبابِ كثرةِ الثوارِ في الأندلسِ[٢] .

ويؤكِّد على ذلَك قولُ المقري أن بعضَ الحصونِ ظل صامداً لأكثرَ مِنْ عشرينَ سنةً لكثرةِ ما تَم تخزينهُ من عدةٍ وعتادٍ[٣]، كما أفادوا مِن المناخ الذي كان يهيئ الفرصةَ لحفظِ مئونةِ المدنِ وطعامها لسنواتٍ طويلةٍ[٤] .

والقربُ مِن الممالكِ النصرانيةِ في الشمالِ الإسباني أدى إلى صعوبةِ الموقفِ أمامَ حكامِ قرطَبة، وذلَك لأن أي ثائر يمكنهُ أن يتلقى العونَ والمساعدةَ مِن ملوك النصارى في الشمالِ الإسباني، لذلك اتبع أمراء بني أمية وخلفاؤهم فيما بعد أسلوبَ اللين مع الثوارِ وخاصةً في الثغور[٥] الإسلامية في الشمال واتَّبعوا معهم أيضاً أسلوب الاصطناع، فكانوا

بالمنصور وقلد الحجابة لابنه عبد الملك سنة (٣٨١هـ/ ٩٩١م) وكان عمر عبد الملك في الثانية عشرة من عمره، وتسمي المنصور كذلك في سنة (٣٨٦ هـ/ ٩٩٦م) وتسمي بالملك الكريم، وأنتهت الدولة العامرية بمقتل عبد الرحمن بن المنصور في (الثالث من شهر رجب سنة ٣٩٩هـ/ الثالث من شهر مارس سنة ١٠٠٩م) . لمزيد من التفاصيل عن الدولة العامرية ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢ ، ص ٢٧٢- ٢٩٤؛ النويري: نهاية الأرب ، ج٢٣ ، ص ٢٤٤؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، تحقيق ليفي بروفنسال ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ٢٠٠٦م، ص٥٩-٨٣ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج٢، ص ٥٣٥ ؛ السيد عبد العزيز سالم: قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢م، ج١، ص ٢٥٩،٢٦٠؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص ١٩٢.

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥١ .

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦ ؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص١١٣.

(٣) المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٤) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن على الحجي، دار الإرشاد ، بيروت ١٩٦٨، ص ٨٨؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢ .

(٥) الثغور: مفردها ثغر وهو كل موضع قريب من أرض العدو ، و المقصود بالثغور في الأندلس تلك الأقاليم القريبة من الممالك المسيحية في الشمال والتي إتخذها المسلمون كمعاقل للإعتصام بها عند الخطر ، أو تنظيم وسائل العزو عندما يتقرر القيام به وهذه الثغور ثلاثة هي:- الثغر الأعلي وقاعدته مدينة سرقسطة ويواجه مملكة نبارة ، الثغر الأوسط وقاعدته مدينة سالم (Medinaceli)، ثم تحولت إلي مدينة طليطلة (Toledo) ويواجه مملكة قِشْتَالَةْ (Castile) وليون (Leon) ، الثغر الأدنى وقاعدته مدينة ماردة ثم انتقلت إلي مدينة بطليوس . ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس، ص١١٧، ١١٨؛ عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ٣٨؛ حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، المكتبة الوطنية، عمان ١٩٩٩م، ج١، ص ٣٥٥ .

يصطنعون قوماً ليضربوا آخرين[١]، فالعصبياتُ المحليةُ والشخصياتُ الكَبيرة كانت تمكن لنفسها في الأندلس في كثيرٍ من الأحيان وخاصة في مناطقِ الثغورِ وقد يتحدُ هؤلاءِ بالممالكِ النصرانية أعداء الدولة في حالاتٍ معينةٍ، وهذهِ ظاهرةٌ عامةٌ صاحبتْ الوجودَ الإسلامَي في الأندلسِ بل إننا نشاهدها غيرُ مرةٍ في عصرِ الخلافة ذاته مثل ثورة محمد بن هاشم التجيبي[٢] ضد الخليفةِ عبد الرحمن الناصر بسرقسطة[٣] وتحالفِه مع النصارى وهو أزهى عصور هذا الوجودِ[٤]، وكذلكَ الاتصالُ والملاصقةُ بينَ الثغورِ الإسلاميةِ وبينَ الممالكِ النصرانيةِ كان عاملَ ضعفٍ واستنزافٍ لقوةِ حكومةِ قرطبةَ على مدى التاريخ[٥] وهذا ما أدركه المنصور بن أبي عامر[٦]

---

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ٦٦.

(٢) محمد بن هاشم التجيبي: طلب من الخليفة الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢- ٩٦١م) أن يقره على حكم سرقسطة بعد وفاة والده هاشم بن محمد سنة (٣١٨ هـ/ ٩٣٠م) فلم يجبه الخليفة الناصر إلي ذلك، فسار محمد بن هاشم إلي قرطبة مؤكدا لولائه فصدر الأمر بتوليته في رجب سنة (٣١٨هـ/ ٩٣٠م) وألتزم بدفع الجباية وداوم على هذا الولاء نحو ثلاث سنوات وأراد الناصر أن يختبر ولاء أهل سرقسطة وذلك بدعوتهم للمشاركة في غزواته ضد النصارى سنة (٣٢٢ هـ/ ٩٣٣) فتخلف محمد بن هاشم عنه فبدأ الناصر بمهاجمة أملاكه وحاصر مدينة سرقسطة، وتكررت غزوات الخليفة عبد الرحمن الناصر عليها حتي إضطر محمد بن هاشم إلي طلب الأمان والصلح . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٣٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، تحقيق عبد العزيز الأهواني، معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ١٩٦٥م ، ص ٤٤؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس ، دار الفكر للطباعة، لبنان١٩٩٥م، ج٢، ص٢٠٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢ ، ص ٢٠٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤٠٦- ٤١٣ .

(٣) مدينة سرقسطة: تعد من كبرايات مدن الأندلس وأعظمها، و سرقسطة تعريب للإسم الروماني قيصر إجستا " Caesar Augusta " وذلك لأن أغسطس قيصر هو الذي أسسها سنة (٢٣ق م)، ودخل الجيش الإسلامي مدينة سرقسطة في سنة (٩٤هـ/ ٧١٢م) دون قتال، وتقدر المسافة بين قرطبة وسرقسطة بعشرة أيام ولمدينة سرقسطة عدة مسميات منها (أم الثغر الأعلي) و(المدينة البيضاء) وعروس الأبيرو وهي تقع في شمال شرق الأندلس على الضفة اليمني من وأدى نهر الإبرو، وأتخذ المسلمون مدينة سرقسطة قاعدة لإنطلاق الحملات العسكرية حتي عصر الإمارة، وسقطت المدينة في يد النصارى بقيادة ألفونسو السادس صلحا بعد حصار إستمر سبعة أشهر وذلك في سنة (٥١٢ هـ/ ١٨ ديسمبر ١١١٨م) . الزهري: كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د . ت)، ص ٨١ ، ٨٢ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢١١ ، ٢١٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٧؛ السلاوي: الإستقصا، ج٢، ص٦٦ ، ٦٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ٤، ص ٤١٥؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ١٦٣.

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢ .

(٥) رجب عبد الحليم: العلاقات ، ص ٦٧ .

(٦) المنصور بن أبي عامر: المنصور بن أبي عامر (٣٢٦ - ٣٩٢ هـ/ ٩٣٨ – ١٠٠٢م) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر محمد بن الوليد يزيد بن عبد الملك بن أبي عامر المعافري، من رجال معافر اليمنية إحدي قبائل حمير، وكان جده عبد الملك من أوائل الداخلين في الأندلس مع طارق بن زياد، وعبد الملك المكني بأبي حفص والد محمد ابن أبي عامر من أهل الدين والزهد، وكان متزوجا من بريهة بنت يحيي ابن زكريا، فولدت له محمد بن أبي عامر بقرية طرش ومات في مدينة طرابلس الغرب بليبيا وهو عائد من الحج، ورحل محمد بن أبي عامر إلي قرطبة وهو شاب في مقتبل العمر، وكان ممن طلب العلم والأدب وساعدته المقادرفترقي، واستخلف على قضاء كورة (ريه) ثم عهد إليه بوكالة السيدة صبح (أم هشام المؤيد) فولي النظر في أموالها وضياعها، وعظمت مكانته عندها، ثم وولي الشرطة والسكة والمواريث، وأضيف إليه القضاء باشبيلية؛ ولما مات المستنصر الأموي كان (المؤيد) صغيرا، وخيف الاضطراب، فضمن ابن أبي عامر لام المؤيد سكون البلاد واستقرار الملك لابنها؛ وقام بشؤون الدولة، ودامت له الإمارة (٢٦) سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج (٥٦ غزوة)، لم يهزم له فيها جيش . الحميدي: جذوة المقتبس

بثاقب بصره، حيثُ أنه قبلَ وفاتهِ أرادَ تخريبَ الثغور[١] التي تغلبَ عليها وذلك بعد أن حصَّنها غاية التحصين فاتصلت العمارة بها وذلك خوفاً من أن يستولي عليها النصارى بعد وفاته فيملكون أغلب الجزيرة، فأراد من تخريب تلك المناطقِ أن يجعلَ مسيرة عشرة أيام[٢] بين بلاد المسلمين وبلاد الروم فيافياً وقفاراً فلا يصل الروم إلى بلاد الإسلام إلا بالمشقةِ وكثرةِ الزادِ وصعوبةِ المرادِ[٣] .

وقد ساعدتْ البيئةُ الطبيعةُ والجغرافيةُ في الأندلسِ على إضعافِ البنيةِ الاجتماعيةِ، وعلى إثارةِ العنصريةِ والحركاتِ الانفصالية، وأدتْ إلى تنوعٍ غريبٍ في العاداتِ والتقاليد، وذلكَ رغمَ أن الإسلام قد طَبَعَ البلادَ بطابعٍ جديدٍ، وأذابَ عواملَ التميز والاختلاف، إلا أنه قد بقَي مْنها ما يكفي لجعلها أُتوناً لحربٍ أهليةٍ عندَ أول إشارةٍ لها ، وكانَ الثوارُ والمارقونَ ضدَ قَرطبةَ يعلنونَ عصيانهم لها وهم آمنونَ مطمئنونَ خَلفَ حصونهِم وجبالهِم الشاهقةِ أو أنهارهم الكثيرةِ المتعددةِ الفروع والمصادرِ مما يشكلُ عقبةً أمام جيوشِ قرطبةَ إذا ما حاولتْ أن تقضي على ثورتهم[٤]، بل إن الطبيعةَ الجغرافيةَ الوعرةَ لم تجعلْ للمعاركِ في غالبِ الأحوالِ نتائجَ حاسمةً على مسارِ الصراع بينَ المسلمينَ بعضهم وبعض[٥]، ووفرتْ وعورةُ التضاريس في شبهِ جزيرةِ الأندلسِ للخارجينَ والثوارِ وقُطَّاع الطرقِ فرصاً ممتازةً لشنِ حرب عصاباتٍ حقيقيةٍ ضدَ الحكومةِ وممثليها وغالباً ما كانت هذه الحروب تَهْدُفْ إلى الثراءَ الذَاتي[٦] ومن الأمثلة

في ذكر ولاة الأندلس، ص ٧٨ ، ٧٩؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص٥٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٨٩؛ أحمد مختار العبادى: في تاريخ المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٥، ص ٢٤٢؛ الزركلي: أعمال الأعلام، ج٦، ٢٢٦.

(١) إنظر ملاحق الرسالة ص ٣٢٣ .

(٢) مسيرة اليوم والليلة: تساوي مسيرة أربعة برد، والبريد يساوي (٢٢,١٧٦) كيلو مترا، فالمسيرة تساوي (٨٨,٧٠٤ كيلو مترا). للسرخسي: المبسوط، تحقيق خليل محي الدين، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م، ص ٤٣١؛ محمد صبحي: الإيضاحات العصرية للمقايس والمكاييل، ص٤٧.

(٣) ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، مج ١٣، ص ٦٤ ، ٦٥ .

(٤) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٦٥ .

(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٦ .

(3) Crow , Spain the root and the flower , op , cit , p187.

على ذلك خلعُ القبائل البربريةِ المستقرةِ في تاكرنا[١] Takarna للطاعة سنة (١٧٨هـ/٧٩٤م) حيث عاثتْ في تلك المنطقة فساداً، فقتلوا وسلبوا وقطعوا الطريقَ على السكانِ وهددوا أمن المنطقةِ إلى أن استطاعتْ قواتُ الخلافةِ تخريبَ منطقَتِهم وتشتيتَ شملِهم[٢] .

لذلكَ أصبحتْ الضرورةُ ملحةَ لنظامِ اتخاذِ الرهائنِ، هذا النظامُ الذي فرضته طبيعةُ الأندلس الجغرافيةِ ووعورةُ أقاليمها، وأملتهُ الظروفُ السياسيةُ آنذاك، كنوعٍ منْ أنواعِ الدبلوماَسيةِ السياسية وذلك لفرضِ النفوذِ أو الزعامةِ الروحيةِ.

وهذا ما حدثَ مع مدينةِ طُليطلة[٣] التي تتميزُ بحصانتهَا الطبيعية، حيثُ إنها تقعُ على هَضْبَةٍ صخريةٍ ترتفع عن سطح البحر بأكثر من ٥٠٠م، ويحيطُ بها نهرُ التاجه مِنْ ثلاثِ جهاتٍ عدا الجهة الشمالية على شكلٍ يقربُ مِنْ ثلثي الدائرة بالإضافةِ إلى إحاطة نهرِ التاجه فإنِ طليطلة محاطة بسبعةِ جبالٍ كما يذكر الإصطخري[٤]، وأهمُ الجبالِ المحيطةِ بطليطلة جبلُ

Hole, Edwyn: Andalus: Spain under the Muslims , London 1958 , p 47 ,65.

(١) تاكرنا: منطقة جبلية تشـــمل اليوم الإقليم الجبلي المحيط بمدينة رندة الواقعة على نحو مائة كيلو متر غرب مالقة بمقربة من اســتجة، وهي قديمة، ولها آثار كثيرة، الحميري: الروض المعطار ، ص ١٢٩؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر في الأندلس في عصر الإمارة الأموية (١٣٨- ٣١٦هـ/ ٧٥٦-٩٢٨م) مؤسسة شباب الجامعة ، إسكندرية ١٩٩٣م، ص٢٩.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٣٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٦٤؛ ابن خلدون العبر، ج٤، ص ١٦٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص٢٢٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) مدينة طليطلة (Toledo): كانت تســمي في اللاتنية "تولاطو" ، ومعني طليطلة "أنت فارح" أو "فرح ســاكنها" وذلك لحاصـنتها ومنعتها، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة تدركها من جميع نواحيها، فتحها المسلمون بقيادة طارق بن زياد، وموســي بن نصــير ســنة (٩٢هـــ/ ٧١٣م) وجعلوها قاعدة الثغر الأدنى للدولة الإسـلامية وسـقطت طليطلة في يد ملك (قِشْ َتَالَةَ) (الفونسو السادس) في المحرم سنة (٤٨٧ هـــ/ ١٠٨٥م) وما تزال إلي اليوم تحتفظ بأسوارها؛ ابن الشباط: وصف الأندلس: تحقيق أحمد مختار العبادى، صـــحيفة الدراســات الإســلامية، إســبانيا - مدريد ١٩٦٧، مج ١٤، ص١٢٠ ؛ البكري: جغرافية الأندلس، ص ٨٦ ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٣٩ ،٤٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص٣٩٣، ٣٩٤؛ ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٩٧م، ق٣، مج١، ص ٩٣؛ حمدي عبد المنعم: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٨، ص١- ١١.

(٤) الإصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن ١٩٢٧م، ص ٤٢.

الشارات في شمالها وسلسلة جبال أوريتانا Cordiller Oretana في الجنوب، وأهمُ أجزائها جبالُ طليطلة[١]، ويتميزُ سطحُ طليطلةَ الداخلي بالاستواء[٢] ويوجدُ بها جبلُ عمروس[٣]

ويتضحُ مما سبقَ أن طليطلةَ تتميزُ بموقعٍ إستراتيجي وجغرافي هامٍ، فهي محصنةٌ طبيعياً ولهذا فإنه يصعبُ على الجيوشِ البريةِ التي تقل بها وسائل الملاحة أن تعبر نهر التاجه كما يصعبُ عليها عبور السلاسل الجبلية حيثُ أنها ستحتاجُ إلى زمنٍ طويلٍ بالإضافةِ إلى إنهاكِ الجيش حال وصولهِ، ولذلك تميزتْ مدينةُ طليطلة بخروجها المستمرِ على الحكامِ والأمراءِ، وذلك بحكمِ موقعها وحصانتها الطبيعة أن تقاوم انتقام الأمراء، ولم تنسَ طليطلة تاريخَها القديمَ كعاصمةٍ للقوطِ الغربيينَ فهي من أكثر المدن تمرداً رغمَ المحاولات المستمرة لقمعها[٤] لذلك لجأ أمراءُ وخلفاءُ البيتِ الأموي إلى اتخاذِ العديدِ من الرهائنِ من مدينة طليطلة وذلك للأسباب سالفة الذكرِ والأدلةً على ذلك عديدة.

فقد اتخذ الأمير عبد الرحمن الداخل [٥] (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) أفلح بن هشام بن عروة الفهري [٦] رهينةً عندما ثَار والده بطليطلة سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م)[٧]،

(١) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م، ج١، ص١٣٣.
(٢) شكيب أرسلان: الحلل السندسية، المطبعة الرحمانية، القاهرة ١٩٣٦م، ج١، ص ٤٢٤.
(٣) ابن القوطية: تاريخ إفتتاح الأندلس، ص٩٩ .
(٤) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص ٨٦ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص٢٣٧-٢٣٨ ؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص١.
(٥) عبد الرحمن بن معاوية: عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية، كنيته أبو المطرف، ولد بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق، سنة (١١٣هـ/٧٣١م)، ومات أبوه وتركه صغير السن، ودخل الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوهما، وبويع له بقرطبة يوم الأضحي من سنة (١٣٨هـ / ٧٥٥م) وتوفي سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، ودفن بقصر قرطبة، وقد بلغ تسع وخمسين سنة وقيل ستين سنة، فكانت مدة خلافته ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر ونصفا . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣؛ الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٩ ، ١٠؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ٣٥؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٧؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ج٢، ص٧ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٧٣.
(٦) هشام بن عذره الفهري: من بني عم يوسف الفهري أخر ولاة الأندلس، وكان والده عذرة بن عبد الله الفهري قد تولي ولاية الأندلس سنة (١٠٧هـ/ ٧٢٥م) وكان هشام واليا على مدينة طليطلة التي كانت موطنا للفهريين . مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني ، القاهرة ١٩٩٤م، ص٩٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج ٢، ص ٤٨ .
(٧) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٤٨؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٥٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص١٦١.

ولكن هشام بن عروة الفهري عاد للثورة مرة أخرى مستنداً لقوة مدينة طليطلة وحصانتها، ولكن ثورة الفهري فَشَلِتْ لأن أهالي مدينةِ طليطلة قاموا بتسليم الثوار للأمير عبد الرحمن الداخل سنة (١٤٩هـ/٧٦٦م)[١] ولولا تسليم أهالي مدينة طليطلة هشام بن عروة الفهري لعبد الرحمن الداخل لاستمرتْ الثورةُ إلى ما شاء اللهُ و ذلك لحصانةِ المدينة .

وكذلك ثارتْ مدينة طليطلة ضد الأمير الحكم بن هشام[٢] (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) مستندةً إلى حصانتها الطبيعيةِ وقوةِ أسوارها، فحرم الأمير الحكم المدينة من زعمائها وقادتها، باتخاذهم رهائن عنده في مدينةِ قرطبة وذلكَ في سنةِ (١٩٩هـ/٨١٤ م)[٣]، ونجدُ كذلك الأمير عبد الرحمن الأوسط[٤] (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، الذي استخدمَ الحصارَ الطويلَ والقسوة والعُنف مع هذهِ المدينةِ الثائرةِ لكنهُ فشِل فلم يجد الأميرُ عبدُ الرحمن الأوسطِ سبيلاً للقضاءِ على الثوراتِ المتكررة في مدينةِ طليطلةَ سوى أن يحرمَها مِنْ زعمائِها الذينَ لديهم القدرةُ على قيادةِ الثوراتِ فقام باحتجازهم رهائنَ في مدينةِ قرطبةَ[٥].

ولم تنته ثوراتُ مدينةِ طليطلة حيثُ استمرّت كذلك في عهدِ الأميرِ محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) [٦] الذي اتبعَ نفسَ سياسةِ سلفه في

---

(١) مجهول: أخبار مجموعة، ص ٩٥- ٩٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٤٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٧.
(٢) الحكم الربضي: الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، ملك الأندلس، ولي الأمر بعد والده؛ كنيته أبو العاصي، أمه: زخرف؛ كان مولده: سنة (١٥٤هـ/ ٧٧٠م)، بويع بعد موت أبيه بليلة، سنة (١٨٠هـ/ ٧٩٦م)، وهو ابن ست وعشرين سنة؛ فكانت خلافته ستا وعشرين سنة، وأحد عشر شهرا؛ ونقش خاتمه: (بالله يثق الحكم وبه يعتصم) وكان فارساً شجاعاً فاتكاً جباراً ذا حزم ودهاء، وعاش خمسين سنة؛ هو الذي أوقع بأهل الربض الوقعة المشهورة وتوفي سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)؛ فكان عمره اثنان وخمسون سنة . ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٤، ص ١٢٤ .
(٣) ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٤١؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٨٣ .
(٤) الأمير عبد الرحمن الأوسط: عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل، أمه: تسمي حلاوة، كان مولده سنة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م)، وهو الرابع من خلفاء بني أمية بالأندلس، بويع له يوم وفاة أبيه الحكم سنة (٢٠٦هـ/ ٨٢١م)، كنيته: أبو المطرف ونقش خاتمه (عبد الرحمن بقضاء الله راض)، وكانت خلافته إحدي وثلاثين سنة وثلاثة أشهر وستة أيام ؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ١١٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٨٠ ، ٨١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٥٤.
(٥) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٢٩١ ، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٥٣- ٥٨ ؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٤١ ، ٤٢ .
(٦) الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط: كنيته: أبو عبد الله وكان مولده: في شهر ذي القعدة سنة (٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) بويع له سنة (٢٣٨هـ/ ٨٥٢م)، وهو ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر؛ وتوفي يوم الخميس لليلة سنة (٢٧٣هـ/٨٦٦م)، وكان عمره: خمس

التعاملِ مع مدينةِ طليطلةَ، حيث قامَ الأميرُ محمدُ بمحاصرتِهم في سنةِ (٢٥٩هـ/٨٧٣م)، إلى أن طلَب أهلُها الأمانَ فأعطاهم الأمان وذلَك على أن يأخذ منهم رهائنَ ويقبلوا العمال المقامين عليها وأن يدفعوا له العشور كل عامٍ [١].

فكانتْ سياسةُ الدولةِ إزاءَ هؤلاءِ الثوارِ محاربة الثائرِ إلى أن يقرَ بطاعتها، فتبقيه حيثُ هو على أن تَأخَذ رهائنَه، وقد يكونون بعضَ ولده، فضلا عن المال الذي يؤديه كل عامٍ، وأحياناً كانت تستنزل الثائر من حصونهِ، فيأتي إلى قرطبة وتُكْرِمُهُ وقد يصير من جملةِ قادتها وكبار رجالها [٢].

وقد أجبرتْ صعوبةُ مسالكِ بعضِ المدنِ وحصانتها الطبيعية حكومة قرطبةَ لاتخاذ رهائنَ مِنْ تلكَ المدنِ، فلقد أثَّر موقعُ مدينةِ سرقسطةَ سلباً عليها حيثُ تقعُ على الضفةِ اليمنى من وأدى نهر الإبرو[٣] (Ebro) على ارتفاع ١٨٤ متراً وكان موقعها الجغرافي سبباً في تسميتها بالثغر الأعلى في الأندلسِ[٤]، فسطحُها عبارةٌ عن منخفضٍ تفصله عن سواحلِ البحرِ المتوسطِ

وستون سنة وأربعة أشهر؛ وكانت خلافته أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوما . ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ٢٣٧، ٢٣٨؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٩٤.

(١) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦٣؛ ابن الأثير: الكامل ،ج٦، ص ٢٤٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب ،ج٢، ص ١٠١، النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٩٠؛ عنان: دولة الإسلام ، ج١، ص ٢٩١ ، ٢٩٢؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة ، ص ٥٩ .

(٢) حيث جعل الأمير الحكم بن هشام عبد الله بن انسوس مقيما عنده في قرطبة بعد ثورته التي إستمرت لسبع سنوات، ولجأ الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط إلي سياسة إصطناع الخارجين على الإمارة الأموية وجعلهم ضباط في جيشه، مثل ثوار مدينة ماردة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن مروان الجليقي وابن مكحول وشاكر ورقط وعمر بن حفصون كبير الثوار بالأندلس، ولكنهم تعرضوا لسوء معاملة الأرستقراطية العربية التي عملت على إزدرائهم والتحقير من شأنهم، وهذا ما سوف يتم توضيحه لاحقا ؛ ابن الأثير: الكامل ، ج٦، ص ١٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج٢، ص١٠٠- ١٠٥ ؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ٧١؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية (د . ت)، ج١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج١، ص٣٠٠ ؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٣) نهر الأبرو (Ebro)من أنهار إسبانيا الكبري، ينبع من جبال كنتابريا(Centabrla) المتفرعة من جبال (البرنيه) بشمالي إسبانيا، ويصب في البحر المتوسط عند مدينة طرطوشة، و مملكة أراغون (Aragon) ونبارة (Navara) يرتويان من هذا النهر، ويمر نهر الإبرو بمدينة سرقسطة وتقع عليه بعض المدن مثل مدينة طرطوشة وشَنْتَمَرِيَّة الشَّرق، ومدينة ناجِرَة وحصن بربشتر؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٦٧ .

(٤) ابن شباط: وصف الأندلس، مج ١٤، ص ١٢٢؛ المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص ١٢٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٧؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص ١١٦ .

جبالِ قطلونية (Catalogne) وبين هذهِ التلالِ وساحلِ البحرِ المتوسطِ شريطٌ ساحلي تقعُ عليهِ بعضُ المدنِ، ويفصلُ هذا المنخفضُ عَنْ فرنساَ جبالُ البرتاب، ويفصله عن بقية أنحاء إسبانيا سلسلةٌ جبليةٌ قليلةُ الارتفاع، أما من ناحيةِ الغربِ فتمتدُ جبالُ قِشْتَالَةْ[١] والقلاعُ التي تتكونَ منها منابع نهر الإبرو، فقدْ كانَ بُعد سرقسطةَ عَنْ مركزِ الحكومةِ الرئيسيةِ، وموقعُها الحصينُ على الضَفَة اليسرى لنهرِ الإبرو ومناعة أسوارِها العالية، وطبيعتها الجبلية سببا في ظهورِ حركاتِ التمردِ والعصيانِ[٢]، وكان وقوعها بين الممالك النصرانيةِ، برشلونة[٣] من الشرق ومملكتي أراجون[٤] ونافار (نبرّة) [٥] من الشمالِ، ومملكةِ قِشْتَالَةْ من الغربِ فرض عليها أن تكون قاعدةً للجهادِ[٦] .

---

(١) قِشْتَالَةْ: (Castlla) هي الهضبة التي تشكل المركز والقلب في شبه جزيرة إيبريا، وكانت هذه المناطق تسمي (بردوليا) ثم سميت فيما بعد باسم قِشْتَالَةْ Castilla، لكثرة الحصون التي كانت تقوم بها، وقد أصبحت وتشمل ثلثي مساحتها وقد تكونت بعد سقوط طليطلة في يد إسبانيا النصرانية سنة (٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) ، وهي هضبة جافة تقع بين مدريد عاصمة إسبانيا ومدينة طليطلة؛ وقد أصبحت قِشْتَالَةْ في القرن التاسع للميلاد إمارة مسيحية، عاصمتها مدينة برغش (Burgos)، ثم انضمت إلي نافار (Navar) وضمت إليها ليون (Leon)وفي سنة (٨٧٤هـــ/ ١٤٦٩م) تزوجت (إيزابلا) أميرة قِشْتَالَةْ بفردیناند الثاني ملك أراجون(Aragon)، فاتحدت إمارات قِشْتَالَةْ وأراجون وليون في دولة واحدة، وتم هذا الاتحاد عام (٨٨٤هـــــ/ ١٤٧٩م)؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٥٢؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٨٣؛ الســامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٩؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٢١٠ .

(٢) عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج٤، ص ٨٧ ؛السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٢١ .

(٣) برشلونة: (Barshaluna) مدينة أندلسية قديمة البناء ، تقع على البحر المتوسط ولها ميناء تدخل إليه السفن وأكثر سكانها من اليهود، وهي عاصمة إقليم (قطالونيا catalonia) وتقع في الشمال الشرقي من إسبانيا فتحها موسي بن نصير سنة (٩٤هـ/٧١٣م) سقطت بيد الفرنجة عام (١٨٥هـ/٨٠١م)، ابن الأثير: الكامل، ج٥، =

= ص ٣٠٩؛ الزهري: كتاب الجغرافية، ص ٧٧؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٠، الحميري: الروض المعطار، ص ٨٦ - ٨٧؛ المقري: نفح الطيب، ج١، ص ٢٣٣ .

(٤) مملكة أرجوان: عندما سقطت برشلونة، أصبحت إمارة نصرانية صغيرة جداً في الشمال الشرقي، وعرفت في التاريخ باسم إمارة أراجون، وكانت متاخمة لحدود فرنســا، بجوار جبال البرينيه في الشــمال الشــرقي للبلاد، و قامت مملكة أراجون الكبري باتحاد أراجون وقطلونية في ســنة (٥٣٢/ ١١٣٧م)، على يد الكونت رامون برنجير الرابع أمير برشــلونة ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٤، ص ٦٠١ .

(٥) نافار: نافارهي إقليم من أعمال ماردة ، يسميها العرب أحيانا نبره ، ويحيط الغموض بأصل هذه المملكة الصغيرة ونشأتها؛ وظهرت هذه المملكة في أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى ، وكانت في البداية إمارة ضعيفة الشان صغيرة المساحة ، وتقع غربي جبال البرنيه وإلي الشرق من جبال كنتبريه (Cantaburia) على أبواب فرنسا وهي بذلك تفصل بين إمارة برشلونة ومملكة ليون، ويسكنها شعب شديد المراس ، وأطلق عليهم المسلمين إسم البشكنس ، ويزعمون أنهم أقدم شعب في أوربا ؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٢٥٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج١، هامش ص ١١٣؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية ، ج١، ص ٢٢٣؛ عبادة كحيلة: تاريخ النصارى في الأندلس، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ١٩٩٣م ، ص ٥٧ .

(٦) ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، ص ١٣٥- ١٣٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣١٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٤، ص ٨٧؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٦٢ .

وكانتْ بدايةُ التمردِ في سرقسطةَ في عهدِ الأميرِ عبدِ الرحمنِ الداخلِ حيثُ أعلنَ سليمانُ بنُ يقظان الكلبي المعروف بالأعرابي[١] والي برشلونة وجيرونة[٢] عصيانه على الأمير عبدِ الرحمنِ الداخلِ بمساعدةِ الحسين بن يحيى الأنصاري[٣] وإلى سرقسطة، وتحالفا على قتال عبد الرحمن الداخل وخلعه، وذلك لتحقيق مآربهما، وأطماعهما في الحكمِ[٤]، لذا طلبوا مساعدةَ شارلمان ملك فرنسا سنة (١٦١هـ/ ٧٧٨م) لغزو الأندلسِ ووعدوهُ بتسليمِ الولاياتِ الشمالية ولاسيما سرقسطة، وسلَّموا له الأسير ثعلبة بن عبيد لكي يكون رهينةً عنده[٥]، وذلك حتى يطمئنَ إليهم ويعبرَ هذهِ المنطقةَ الجغرافيةَ الصعبةَ فلا يُعرِّضْ جيَشَهُ للمخاطرِ، ويكونُ واثقاً من وقوفِ المسلمينَ بجوارهِ .

ولكن مشاريع شارلمان في الأندلس باءتْ بالفشلِ، حيث تلقى أنباء بحدوثِ اضطراباتٍ في بلادهِ، فاضطَر إلى رفعِ الحصارِ عن سرقسطةَ التي فَشِلَ في الاستيلاءِ عليهاَ لطبيعتهاً الجغرافيةَ وحصانتها، فرجعَ إلى بلادهِ بعد أن أخذ سليمان الأعرابي رهينةً، وبينما

(١) سليمان بن يقظان الإعرابي: كان دائم الإتصال بملوك الفرنجة منذ سقوط أربونة في أيديهم سنة (١٤١هـ/ ٧٥٩م) و جعل نفسه من رعايا الملك المسيحي بنين وفي حمايته وذلك ردة فعل على تنكيل الأمير عبد الرحمن الداخل باليمانية التي ينتمي إليها ؛ لمزيد من التفاصيل ، إنظر: شكيب أرسلان: تاريخ غزوات العرب، دار الكتب العلمية ، بيروت١٩٣٣، ص ١١٧؛ كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧٢٨ .

(٢) جيرونة أو جرنده: (Gerunde) إحدي مدن الشمال الأندلسي، وهي تقع في جنوب غرب فرنسا، شمالي برشلونة وهي من مقاطعات كتلونية، ويقال لها جيرونة، وأسمها الروماني القديم جيرنده (Gerunda)، وكان إسمها هذا هو المستعمل يوم فتحها العرب ،وسكنها العرب طويلا، ولم يسكنوا جيروندة التي عاصمتها بوردو ولا عرفوها إلا في الغزوات عابري سبيل، و خرجت جرنده من أيدي المسلمين نهائيا ستة (١٨٤هـ/٨٠٠م)؛ ابن خرداذبة: المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م، ص ٩٠؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص ٢٠٤ .

(٣) الحسين بن يحيي الأنصارى: الحسين بن يحيي الأنصارى بن سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى خزرجي من أهل قرطبة، ووالي سرقسطة وحليف سليمان في مشروعه لإستدعاء الفرنجة، وفي سنة (١٦٥هـ/٧٨٢م) غدر الحسين بن يحيي بسرقسطة ونكث فسيَّر إليه الأمير عبد الرحمن غالب بن تمام في جُندٍ كثيف فاقتتلوا، وسارعبد الرحمن في سنة (١٦٦هـ/٧٨٢م) إلي سرقسطة فحصرها وضايقها ونصب عليها ستة وثلاثين منجنيقاً، فملكها عَنوةً وقتل الحسين أقبح قتلة ، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢١٣؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ٥٦؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٢٠٤ .

(٤) العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٢٥؛ المقري: نفح الطيب ، ج٣، ص ٤٤٨؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج١، ص ١٦٨؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص ١٢٨ .

(٥) مجهول: أخبار مجموعة، ص ١٠٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص ٦٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص ١٢٤؛عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج١، ص ١٦٩- ١٧٤ .

كان شارلمان يعبر مع جنوده من ممر رنسفال أو باب شزروا، كما يسميه العرب، في جبال البرتات هاجمته قوة مؤلفة من البشكنس أو الباسك، وقضت على مؤخرةِ جيشه [١].

وقد كان لوقوعِ مدينة سرقسطة في الشمالِ وبعدها عن مركزِ الخلافة ومجاورتها للنصارى دور في انطلاق حركات المعارضة حيث تحالفت أسرة بني تجيب[٢] سادة سرقسطة مع النصارى في الشمال ضدَ الخليفةِ عبدِ الرحمنِ الناصر سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م)[٣] ولكنهُ استطاعَ كسرَ هذا التحالفِ ونجحَ في الاستيلاءِ على سرقسطة فأسرع محمد بن هاشم لطلب الصلح فاشترط عليه عبد الرحمن الناصر تقديم الرهائن، وذلك في شهر المحرم سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م)، وأمر كذلك بهدمِ أسوارِ المدينةِ، حتى لا تُشَجعّ الخارجين على الثورة[٤]. كذلك كانتْ مدينةُ ماردة[٥] التي تميزتْ بمرتفعاتِها الجرداءَ، وأسوارِها المنيعة، أصبحتْ مجالاً خصباً للثوراتِ وحركاتِ التمردِ والمؤامراتِ، كما كانت وكراً مهيئاً للمتآمرينَ منْ أفرادِ البيتِ الأموي والخارجينَ على الحكمِ المركزي في قرطبة[٦]، حيث واجهَ الأميرُ

(١) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٠؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٩٦.

(٢) بنو تجيب: بضم التاء وكسر الجيم وسكون الياء المثناة تحت ثم ياء موحدة، بطن من كندة وهم بنو أشرس بن شبيب بن السكون بن كندة، وتجيب: أمهم، وهم من أهل حضرموت؛ و بنو تجيب هؤلاء من زعماء البيوتات العربية العريقة وأسكن الأمير عبد الرحمن الأوسط بني تجيب مدينة قلعة أيوب وحصنها لهم،وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد، استطاع بنو تجيب أصحاب دروقة وقلعة أيوب من أعمال الثغر الجنوبية، الاستيلاء على مدينة سرقسطة، وذلك على يد زعيمهم أبي يحيي محمد بن عبد الرحمن التجيبي المعروف بالأنقر؛ وأقره الأمير عبد الله على حكم سرقسطة وأعمالها اكتساباً لولائه، واستمر بنو تجيب في سرقسطة، والمنتزون من زعماء المولدين في باقي قواعد الثغر مثل تطيلة ووشقة، أحياناً على ولائهم لحكومة قرطبة، وأحياناً يخرجون على طاعتها، حتي استطاع الناصر أن يقضي على ثوراتهم، وأن يرغمهم على الخضوع والطاعة . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٢٩؛ ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج، ص٤٢؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، ص١٨٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٣، ص٢٦٥؛ خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٣.

(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٧٩م، ص ٤١٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج٢، ص ٤٠٦ .

(٤) ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ٤١٩؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٤٤ - ٤٦.

(٥) ماردة (Merida): مدينة بجوفي قرطبة منحرفة إلي المغرب قليلاً، وكانت مدينة ينزلها الملوك الأوائل، فكثرت بها آثارهم، وقصر ماردة بناه عبد الملك بن كليب بن ثعلبة، وقنطرة ماردة طولها ميل، ومن ماردة إلي بطليوس عشرون ميلاً، وفتح موسي بن نصير المدينة صلحا في سنة (٩٤هـ / ٧١٣م) بينها وبين قرطبة ستة أيام، وسقطت ماردة و بطليوس في يد النصارى سنة (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) . ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص١٤، ١٥؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥١٩؛ محمود شيت خطاب: قادة فتح الأندلس، ج٢، ص٢٠٤ .

(٦) سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس ، ج١، ص ٢٢٤.

الحكم(١٨٠- ٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢١م) ثورة أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس[١] في سنة (١٩٠هـ/٨٠٥- ٨٠٦م) الذي ظلَ تمرُده سبعَة أعوامٍ من سنةِ (١٩٠-١٩٧هـ/٨٠٥ - ٨١٢م) مستغلاً العديدَ مِنْ العواملِ منها حصانةُ المدينةِ وموقعُها الجغرافي المتميز، فلجا الأَميرُ الحكم بن هشام إلى الصلح، مشترطاً على أصبغ بن وانسوس أن يسكنَ قرطبة[٢] واتخذه رهينةً ليكونَ تحتَ عينيهِ في قرطبة .

وأصبحتْ مدينةُ ماردة مدينة الثوراتِ في الغربِ، فكانتْ ترحبُ دوماً بالخارجينَ عنْ الحكومة المركزية[٣] وكانتْ المدينةُ بحكمِ موقعها على مقربةٍ منْ مملكةِ اشتوريش المسيحية تتلقى تأييداً وتعضيدا من هذه المملكة الإسبانيةِ للثورةِ ضدَ حكومةِ قرطبةَ، فقْد كانَ الملكُ ألفونسو الثاني[٤] يشجّع سكانَ غربِ الأندلسِ من المُوَلَّدِينَ والمُسْتَعْرِبِينَ والبربرِ على الثورةِ

(١) أصبغ بن عبيد الله بن وانسوس: وأصله من بربر مكناسة، وبني وانسوس هم موالي سليمان بن عبد الملك، و أصبغ كان قائداً للأمير الحكم، وهو الذي نجح في أسر سليمان بن عبد الرحمن عم الأمير الحكم الذي أمر بقتله، و برع العديد من أبنائه مثل: أبو الربيع سليمان بن محمد بن اصبغ بن وانسوس الذي ارتقي الذروة من خطة الوزارة للأمير عبد الله، وصارت له حظوة . ابن سعيد: المغرب، ج١، ص٣٦٢؛ القضاعي: التكملة لكتاب الصلة ،ج٤، ص ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص٣٤٦،٣٤٥؛ النويري: نهاية الأرب، ج٢٣، ص٢١٥؛ ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص١٦٣،١٦٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٢٣٧؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص٣٣ ،٣٤ .

(٣) ابن خلدون: تاريخه، ج ٤، ص١٧٠، ١٧١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات طليطلة، ص ٤٠ .

(٤) ألفونسو الثاني: يسميه العرب بأذفونش وهو بن فرويلة الأول ويعرف بالعفيف (Alfonsoll el cast)، وملك جليقية وأشتوريش (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١- ٨٤٢م) خلفا لمورقاط بن أذفونش (موريجاتو بن ألفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي (١٧٢-١٧٥هـ/٧٨٩-٧٩١م) وكان شديد التعصب لدينه ووطنه، وكانت حملاته المتوالية إلي أراضي المسلمين يطبعها لون ديني عميق، ويسجل حكمه الطويل خلال (٥١) سنة عاصر فيها كل من الأمير هشام الرضا والحكم الربضي وعبد الرحمن الأوسط مرحلة أتسمت بالنشاط في الإسترداد الإسباني، ولقد تبادل مع أمراء بني أمية في الأندلس الغارات والغزوات كما تناوبا النصر والهزيمة، وإذا كانت قوات قرطبة نجحت في إقتحام أسوار أفيدو (Oviedo) حاضرة ألفونسو الثاني في أشتوريش مرتين، فإن قوات ألفونسو نجحت بدورها في إحتلال لشبونة لفترة مؤقتة ، وتحولت أشتوريش في عهده من مركز للمقاومة ضد المسلمين إلي مملكة . سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، هامش ص ٢٣١؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٤٢ .

ضدَ الأمير الأموي، ومن الثابتِ أن الملك الكارولنجي لويس التقي[١] (١٩٨-٢٢٥هـ/٨١٤ -٨٤٠م) قدَّمَ نفسُ التشجيعِ في رسائلهِ[٢] إلى مُسْتَعْرِبي ماردة[٣] .

واستغلَ العديدُ منَ الثوارِ، منهمْ عبدُ الرحمنِ بنِ مروان الجليقي [٤] ظروفَ المدينةِ الثائرةِ لموقعها المتميزِ وحصانتِها الطبيعيةِ وقوةِ أسوارِها ومساعدةِ القوي المسيحية للقيامِ بالثوراتِ ضد الإمارةِ الأموية التي لجأتْ أمامَ هذهِ التحدياتِ إلى سياسةِ اتخاذِ الرهائنِ منْ هذهِ المدينةِ [٥] والتي كان لظروف المدينة الجغرافية دوُرُ فيها.

أما طبيعةُ الشمالِ الأندلسي الوَعِرَةُ القاسيةَ فقد كانت السببَ الرئيسي وراءَ امتناعِ جنودِ موسى بن نُصير عن مواصلةِ الفتحِ، واقتحام مفاوزِ جليقية، طالبينَ منه الرجوعَ بهمْ وعدم المغامرةِ في هذهِ الأرضِ المُوْحِشَةِ[٦]، لذلك أخذ الفاتحين بلاي[٧] وهو من أهل

---

(١) لويـــس الأول (التقي) (٨١٤ - ٨٤٠): أنجب الامبراطور الفرنجي شارلمان ثلاثة أولاد ذكور، هم: لويس الملقب بالتقي (Louis I le Pieux) وشـــارل (Charles) وبيبين (Pépin)، وقام شـــارلمان بتقســـيم الإمبراطورية الإفرنجية بين أولاده الثلاثة، ثم مات شارل وبيبين في حياة والدهما، فتوج شارلمان ابنه لويس التقي إمبراطورا على الفرنجة سنة ٨١٣م من دون تدخل البابا وفي ســـنة ٨١٤م مات شـــارلمان، لكن لويس التقي لم يكن كأبيه، فقد أعيد تتويجه ســـنة ٨١٦م على يد البابا ســـتيفان (اسطيفان) الرابع (Stephen IV) ذلك أن لويس التقي لم يمتلك من قوة الشخصية ما يضمن له السيطرة على أمور الحكم وعلى الكنيسة لويس التقي الإمبراطورية الإفرنجية حتي وفاته سنة ٨٤٠م . ول ديورانت: قصة الحضارة، ج١٤، ص ٢٤٩- ٢٥١ . مرسي الشيخ: دولة الفرنجة وعلاقتها بالدولة الأموية في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية١٩٨١م ، ص ٢٣٩.

(٢) رسالة لويس التقي لأهل ماردة: أنظر ملاحق الرسالة ص ٣١٦.

(٣) حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٣٥ ؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١،هامش ص ٢٣١.

(٤) عبد الرحمن بن مروان الجليقي: وأسرة مروان الجليقي من أصل غير معروف و ترجع أوليتهم إلي مروان بن يونس الجليقي الذي تزعم الثورة في ماردة على عهد الحكم الأول(الربضي) سنة (٢٠١هـ/٨١٦-٨١٧م) وقد خلفه في التمرد والعصيان بمارده إبنه عبد الرحمن بن مروان الجليقي ويذكر ابن حيان: أنه كان ذا بأس شديد وكيد عظيم ودهاء ومكر لا يلحقه فيه أحد من نظرائه، واســتأثرت هذه الأســرة بحكم بطليوس و ماردة في الفترة من قيام مؤسســها عبد الرحمن بن مروان بتأسيس بطليوس في غرب الأندلس والإستقلال بها على عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط حتي سنة (٣١٨ هـــ/ ٩٣٠م) عندما تمكن عبد الرحمن الناصر من استرجاع المدينة وإسقاط أسرة بني الجليقي . الحميدي: جذوة المقتبس، ص ٢٧٩؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٧٠ ، ١٧١؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلي الأندلسي، ص٧٩؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٠ .

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص ١٩٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص ١٠٠؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص١٦٤؛ سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١، ص ٢٤٤؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٣٠٠ .

(٦) حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص ١٠٣.

(٧) بلاي: (Playo) (ت ١٣٣هـــ/ ٧٥٠م) إختلفت المصـادر حول أصـله ، ولا يعرف على وجه التحديد إن كان قوطيا أو من سلالة الإيبريين الرومان الذين حكمهم القوط حتي الفتح الإسلامي ، وتتدعي بعض الرويات أنه كان إبنا لفافيلا دوق كنتبريه ، في حين ذهب فريق آخر إلي أن بلاي كان حاملا لسيف لذريق وأنه هرب إلي أشتوريش حينما غزا المسلمون البلاد وأقام نفسه أميرا عليها ؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ٣٥٠؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ .

أشتوريش من جليقية رهينة كي يضمنوا طاعة أهل بلده[١]، وذلك لوعورةِ هذهِ المنطقة و ليفرضوا على تلك المناطقِ السيطرةَ، ولكنَّ بلاي استطاعَ الهربَ مِنْ قرطبة أيام الحر بن عبدالرحمن الثقفي[٢]، فاجتمعت معه شراذم القوطِ في قاصيةِ جليقية، ولم يعتنِ الولاة بتتبعهم والقضاء عليهم، إما احتقاراً لشأنهم أو لوعورة الجبالِ التي امتنعوا بها[٣]، أو لاعتقادِهم بأن ذلك سيؤدي إلى موتِهم وهم يتعقبون ثُلَّةً من البائسين في الأودية الخطرة[٤] ولو فعلو ذلك لربما كانتْ إسبانيا دولةً إسلاميةً حتى اليوم[٥] إضافة إلى ذلك فإن العرب لم يكونوا معتادين على المناطق الجبلية القاسية، وأساليبهم الحربية لم تتكيفْ مع تلكِ المناطق[٦] ففي أثناءِ اضطرابِ الشئون وانشغال الولاة، كانت هذه الَشَراذِمَ تنمو وتشتدُ داخلُ هضابِها النائية، وكانت هي نواة هذه المملكة النصرانية القوية التي نشأتِ سِرَاعاً، واشتد ساعدُها، حتى غدت في غضون قرن تنافس الإسلامَ وتنازعه سيادةَ إسبانيا[٧] فكانت وعورةُ الجبالِ، وضيقُ المسالك السبب وراء تكبدِ المسلمينَ خسائرَ فادحة في كوفادونجا[٨] [٩] .

(١) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٠ .
(٢) الحر بن عبد الرحمن الثقفي: تولي إمارة الأندلس سنة (٩٧-١٠٠هـ/٧١٥-٧١٨م) وهو ابن أخت موسي بن نصير إجتمع أهل الأندلس عليه بعد مقتل عبد العزيز بن موسي سنة (٩٧هـ /٧١٥م)، قام بنقل مقر إمارة الأندلس من اشبيلية إلي قرطبة، و له غزوات في بلاد الفرنجة ونواحي أربونة، و أدى انشغاله بالغزو إلي انتعاش حركة المقاومة المسيحية في المنطقة الشمالية الغربية بزعامة بلاي ، فعاد للقضاء على تلك المقاومة، وبينما هو مشغول بذلك عزله الخليفة عمر بن عبد العزيز وعين مكانه السمح بن مالك الخولاني(١٠٠-١٠٢هـ/ ٧١٨-٧٢٠م) أميرا على الأندلس . ابن الأثير: الكامل، ج٥ ، ص ١٢٠؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٤، ص ١٣؛ عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٧٣ .
(٣) المقري: نفح الطيب، ج٤، ص٣٥٠؛عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ٨٣؛ حسين مؤنس: فجر الأندلس ، ص ٣٦٤ .
(٤) رينهارت دوزي: المسلمون في الأندلس، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م، ج٢ ، ص ١٥؛ حسين مؤنس فجر الأندلس ، ص ٣٦٤ .

(1) Crow , Spain the root and the flower, p 80.
(2) Collins, Roger, Early medieval Spain p 184.

(٧) عبد الله عنان: دولة الإسلام ،ج١، ص ٨٣ .
(٨) كوفادونجا (Covadonga) أو كهف سانتاماريا (Cueva Santa Maria) يصف رينهارت دوزي هذا الكهف بقوله: أنه يقوم على نجد شاهق ، إذ يصعد إليه المرء تسعين خطوة وهو منحوت في صخرة هائلة ويطل على واد سحيق ويشقه أخدود تتجمع فيه السيول وتقوم على جانبيه سلسلتان من الصخور شديدتا الإنحدار قلما يتمكن الفارس من المرور بينهما ألا بشق الأنفس ؛ دوزي:المسلمون في الأندلس ، ج٢ ص ١٤.
(٩) دوزي: المسلمون في الأندلس ، ج٢، ص ١٤؛ حسين مؤنس: بلاي وميلاد إشتوريش ، ص ٦١.

وتنتشرُ المرتفعاتُ الجبليةُ في الأندلسِ حيثُ لا تفصلُ جبالُ البرنيه فرنسا عن إسبانيا فقط، ولكنها تستمرُ باتجاهِ الغربِ تحت اسمِ مرتفعات كانتبريه وأشتريس على امتدادِ الساحلِ الشمالي لإسبانيا تاركةً مساحة قليلة من الأرضِ المنخفضةِ (السهول) على امتداد خليج بسكاي حتى تصلَ إلى المحيطِ الأطلسِي[١]، وينبع من هذه الجبال عدد من الأنهار لها فروع كثيرة، فهناك نهر ابره (Ebro) الذي ينبعُ مِنْ جبالِ البرنيه، ويصبُ في البحرِ المتوسطِ ، وهناكَ نهرُ المنية (المندجوا) (Mendgo) ودويره (Douro) اللذان يصبان في المحيطِ الأطلسي، وما بين المندجوا ودويرة هضابٌ فقيرةٌ واسعةٌ أصبحتِ حاجزاً طبيعياً بين الشمالِ والجنوب[٢] .

وتشُكل إسبانيا قلعةً عظيمةً، وهي محاطةٌ بشكلٍ كاملٍ بسلاسل جبليةٍ تطبقُ على مساحاتٍ واسعةٍ من أراضي قِشْتَالَةْ الشاسعة، وتغطي الثلوجُ بعضَ القممِ الجبليةِ المرتفعةِ على مدى أشهرٍ عديدةٍ في السنةِ، ولهذا أُطْلِق عليها اسم سيرانيفادا (السلاسل المغطاة بالثلوج)، وتنقسمَ أراضي قِشْتَالَةْ إلى مناطق أصغرَ، بواسطة السلاسلِ الجبليةِ الداخليةِ [٣].

وتمثلُ هضبة قِشْتَالَةْ المركزية حوالي ستين بالمائة (٦٠%) من مجملِ أراضي إسبانيا ،ويتراوحُ ارتفاعُ هذه الهَضْبةِ ما بين ألفين إلى ثلاثة آلاف قدم وهي تشكلُ لَيس فقطْ قلب إسبانيا وإنما حصنها المنيعُ وهي تتشكلُ من الأراضي الجافةِ والجبالِ القاحلةِ والسهولِ الخالية مِن الحياةِ[٤] وهذا الجزءُ مِن البلاد هو الذي أعطي إسبانيا شخصيتهاَ القاسيةُ، وعنفها البِدائِي وتَحَمُّلَهَا الآلام والمعاناة ، فقِشْتَالَةْ هي أرضُ الحصونِ والقلاعِ التي اكتسبتْ اسمها منهُ[٥]،

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، ص ٩٢.
(٢) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين، ص ٢٢٦؛ رجب عبد الحليم: العلاقات ، ص ٩٨-٩٩.
(8) Crow , Spain the root and the flower p1 .
(9) Crow , Spain the root and the flower p 4 .
(1) Crow , Spain the root and the flower p 4 .

فأصبحتْ العزلةُ في إسبانيا حالةً عقليةً وأسلوبُ حياةٍ وليسَ مجرد جبالٍ أو ارتفاعاتٍ، فالولاء الأولُ في نظر الإسباني هوَ لموطِنه الصغيرِ أو لمنطقتهِ الوطنية، وإذا سألت إسبانيا مِنْ أينَ أنتَ؟ فإنَّ جوابهُ سوفَ يكونُ أنا ابنُ ليون أو نبرة أو قِشْتَالَة، ثم بعد ذلك ربما يرغبُ أن يكونَ إسبانياً وهذا التطلعُ نحوَ الانفصالِ يتجَّلى بقوةٍ في مناطق قطلونية والباسك [١]، ولذلك فإن الصراعَ مِنْ أجلِ تعزيزِ الوحدةِ القوميةِ استمرَ على مدى قرونٍ بواسطةِ القشتاليين وقد وَجَدَ عوائقَ في كلِ خطوةٍ بسببِ الولاءِ الأساسي للوطن الأصلي، ثم بدأ الإحساسُ القومي الإسباني بالتبلورِ تدريجياً فيما بعد [٢].

ولقدْ خففَ مِنْ حدةِ التنوعِ الجغرافي تَجَانُسُ السكانِ ووحدةُ الديانةِ فلم تحتوي إسبانيا النصرانية على عناصر غيرِ متجانسةٍ مثلما وُجِدَ في الأندلسِ الإسلاميةِ كما لمْ يستعينوا بعناصرَ أجنبيةٍ ينقصها الإخلاصُ في جيوشهمْ [٣].

ولقدْ انعكستْ الطبيعةُ الجغرافيةُ على أخلاقِ ساكنيها، فغلبتْ عليهمْ الخشونةُ والقسوةُ والتعصبُ حتى وُصِفوا بأنهم قومٌ كالبهائمِ ، وأنَّهم أهلُ غدرٍ ودناءةِ أخلاقٍ[٤]، ولقدْ تركتْ جغرافيةُ الأندلسِ أثرهَا الفاعل في السماتِ العامةِ للشخصيةِ الأندلسيةِ ، فصارتْ هذهِ الشخصيةُ عنيفةً وعنيدةً، وليسَ مِنْ شكٍ في أنَّ الطبيعةَ الجغرافيةَ للأندلسِ لعبتْ دوراً أساسياً في أن تجعل الصراعَ سجالاً بين المسلمينَ والنصارى وكان يؤجِجُ العنفَ والعنادُ معاً مجاورةُ الأندلسِ لممالك نصرانية، كان همُها طردَ المسلمينَ منذُ البداية[٥].

(١) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية ، ص ٢٨. . Crow , Spain the root and the flower P 2
(3) Crow , Spain the root and the flower p 3 .
(٣) رجب عبد الحليم: العلاقات، ص ١٠١.
(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٤ ؛ الحميري: الروض المعطار، ص ١٠١.
(٥) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٦ .

فقد كان فقرُ الطبيعة أحدَ أسبابِ فقرِ السكانِ، وغزوُ المسلمينَ في الجنوبِ حسَّن من أوضاعهم، فكانوا يغيرونَ على الأراضي الإسلاميةِ ويخربونها ويقتلونَ أهلَها فيضطرُ الحاكم لتجهيزِ جيشٍ لإغاثةِ مواطنيهِ وثغورهِ، وعندما يصلُ الجيشُ إلى المكانِ المحددِ يكون النصارى قد غادروا المنطقة إلى أخرى بعد أن امتلأت أيديهم بالغنائمِ والأسلابِ، وساعدهم على ذلك بعدُ العاصمةِ قرطبةَ إلى الجنوب، وبالطبعِ حربُ العصاباتِ هذه شكلتْ هَدْراً لطاقاتِ قرطبةَ البشريةِ والماديةِ[1]، فنجدُ أن الحاجةُ أصبحتَ ملحةً لاتخاذِ الرهائن كنوعٍ منْ أنواعِ الدبلوماسيةِ السياسية التي لجأت إليها الأندلس الإسلامية مع جيرانها وذلك لأسبابٍ عديدةٍ أملتها الظروفُ القائمةُ آنذاك.

واخترق الأميرُ عبدُ الرحمنِ الداخل سنة (١٦٤هـ/٧٨٠م) أراضي البشكنش (Bacos) (نافار) وخَّرب بنبلونةَ[2] (Pamplona) وقلهرة (Calaborra) واجتاحَ شرطانية[3] (Cerdana) التي أُرغم أميرها على تقديمِ الطاعةِ وأداءِ الجزيةِ وأُخذ ابنه رهينة[4]، فكان غرض عبد الرحمن أن يفرض الطاعةِ والنفوذ على تلك المنطقةِ الجغرافيةِ

(١) رجب عبد الحليم: العلاقات ، ص ٩٨ ، ٩٩.

(٢) بنبلونة: Panplona تقع على نهر أرغة Arga عند الممرات الغربية لجبال البرتاب ، وبينها وبين سرقسطة مائة وخمسة وعشرون ميلاً، وهي بين جبالٍ شامخةٍ، وشعاب غامضةٍ وأكثرهم متكلمون بالبشقية وخيلهم أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم، ويسكنون على البحر المحيط وأصبحت بنبلونة عاصمة ولاية نافار أو نبرة أو بلاد البشكنش، ونبعد عن مدريد حوالي ثلاثمائة كيلو متر ؛ الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ط٢، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجبل ، بيروت ١٩٨٨م، ص ٥٥ ، ٥٦ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٨، ص ٣٠٧؛ شكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج٢، ص١١٦؛ محمود شيت: قادة فتح الأندلس، ج١، ص ٥٩ .

(٣) سرطانة أو شرطانية بالإفرنجية (Cerdagne) وبالإسبانية (Cerdana) وهي ولاية كبيرة في شمال شرق إسبانيا في المنطقة الواقعة جنوبي جبال البرتاب الشرقية متاخمة للحدود الفرنسية، وكان القائد البربري منوسة الذي رافق طارق بن زياد أصبح حاكماً على شرطانية ومسئولا عن كل المنطقة التي تمتد من جبال ألبرت إلي المحيط الأطلسي ثم استطاع النصارى مد نفوذهم ليشمل هذه المنطقة . عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص ١٨٧؛ كمال السيد أبو مصطفي: المولدون في منطقة الثغر الأعلي الأندلسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٨٩ ؛ خليل السامرائي: تاريخ العرب ،ص ٨٣ .

(٤) مجهول: أخبار مجموعة، ص١٠٤؛ ابن خلدون: تاريخه، ج٤، ص ١٥٨؛ خالد الصوفي: تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة، ط٢، منشورات جامعة قاريونس ، (د . ن)، ١٩٨٠م ، ص ٨٨ .

الصعبةِ البعيدةِ عن العاصمةِ المركزيةِ وحتى لا يعود إليها مرةً أخرى ويهدر الطاقاتِ البشرية والماديةَ في وهادٍ جغرافيةٍ صعبة فاتخذ ابن صاحبِ شرطانيةِ رهينةً عنده.

كما أن محمدَ بن عبد الملك الطويلِ[١] زعيمُ أسرة بني الطويل هاجمَ منطقةَ بلبارش[٢] وأوقعَ بأهلها سنة (٢٩٦هـ/ ٩٠٩م) فوفدَ عليهِ أهلُ حصنِ روطة[٣]، يعرضونَ عليهِ الصلحَ ويعطونه الرهائنَ والجزَية، فلم يجبْهم إلى ذلك، فخرجوا هاربين من الحصنِ وأخلوه فهَدمه [٤]

وفي هذه الحالة يتبين رفض محمد الطويل للصلح واتخاذ الرهائنِ على النقيضِ من عبد الرحمن الداخل لأسبابٍ منها: -

أولاً: أنه من المنطقة الجغرافية ذاتها، فهي قريبةٌ منهُ، فهو على علمٍ ودرايةٍ بها.

ثانياً: محمد الطويل كان على درجةٍ كبيرةٍ مِن القوةِ جعلتهُ واثقاً في النصرِ.

ثالثاً: - أرادَ محمد الطويل أنْ يوسعَ منطقة سيطرتهِ ونفوذه.

وفي أواخر عصر الإمارةِ الأمويةِ جرى توسعٌ آخر لعبتْ فيهِ الجغرافيا دوراً رئيسياً ، حيثُ لمْ تكنْ هناكَ حدودٌ واضحةٌ للأندلسِ الإسلاميةِ مع مملكةِ أشتوريش – جليقية (ليون Leon فيما بعد) إنما وجدت مساحاتٌ واسعةٌ من الأراضي شبهِ الجرداءِ خاصةً فيما يُعرف

(١) محمد بن عبد الملك الطويل: وسمي بذلك لطوله الفائق، وينتمي محمد بن عبد الملك الطويل إلي بني شبريط، وهم يمثلون إحدي الأسر المولدية البارزة في الثغر الأعلي، وكان ظهوره لأول مرة على مسرح الأحداث حينما إستولي على الحكم في مدينة وشقة ونواحيها بعد أن إنتزي على حاكمها مسعود بن عمروس أحد أبناء عمومته من بني عمروس وقتله في سنة (٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)، وعمل على بذل الطاعة لحكومة قرطبة وأقره الأمير عبد الله بن محمد على عمله وسجل له المناطق التي تحت نفوذه . ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠٠؛ العذري: نصوص عن الأندلس، ص٦٥؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج١، ص٣٤٢ .

(٢) بلبارش:(Pallars) تقع بين إقليم أرغون والثغر الأسباني أو إقليم قطالونيا، جنوب جبال البرتاب، وإلي الشرق من منطقة ألبه (Alava) في أقصى الشمال لإسبانيا ؛ مجهول: أخبار مجموعة ، ص ١٠٧ ؛ كمال السيد: المولدون في منطقة الثغر الأعلي الأندلسي ، ص ٨٦ .

(٣) روطة: حصن من أعمال سرقسطة حصين جدا، وهو على شاطئ البحر وهو موضع رباطٍ، ومقر للصالحين؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٩٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٣٠ .

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب ،ج٢ ، ص١٤٥ .

عندَ العرب بِاسمِ ألبة (Alava) والقلاع[١]، وعاشتْ في هذهِ المنطقةِ جماعاتٌ هامشيةٌ مِنَ المسلمينَ والنصارى، وكان هؤلاءِ مُوزَّعي الولاء، ودعتهم المصادرُ المسيحيةُ بـ Enaciados منهمْ بني قسي[٢] أمراء الثغر وهُم في الأصلِ نصارى إسبان أسلموا، ولكنّ ولاَءهم كان يتراوحُ بينَ الدولةِ الإسلاميةِ تارةً والدولةِ النصرانيةِ تارةً أخرى[٣].

واستفادَ نصارى الشمالِ من الحالِ التي كانتْ عليها تخومهم معَ المسلمينَ، وشجعوا رعاياهم على الهجرةِ إليها، ثم امتدَ تشجيعهمْ إلى المستعربينَ Los Moza' rabes للاستقرارِ في هذهِ المناطقِ وكانَ ذلكَ الامتدادُ بحدودِ المملكةِ النصرانيةِ الناشئةِ على حسابِ المسلمينَ، وصارتْ سياسةُ الاستيطانِ في التخوم سياسةً عامةً لدى الممالكِ النصرانيةِ الأخرى فيما بعد[٤]

وقد كان لطبيعةِ الأندلسِ الجغرافية دورٌ واضحٌ ومؤثرٌ في خلخلةِ الكيان الاجتماعي للأندلس، فَكُثُرَ الخروجُ على الدولةِ ، فقد كانتْ الأندلسُ تنقسمُ إلى عددٍ من الأقاليم الطبيعيةِ

(١) ألبة والقلاع: وهي الأراضي الواقعة بين بلاد الباسك وجبال كانتبرية على ضفاف نهر الإبرة شرقي مملكة جليقية؛ وسكان هذه المناطق من البشكنس وأهل ألبة يحكمون من قبل أمراء تابعين لمملكة ليون، لكنهم كانوا يتمتعون بشيء من الاستقلال الذاتي ليتمكنوا من محاربة المسلمين؛ أما عاصمة المنطقة فكانت يومئذ في مدينة بُرْغُش Burgos؛ وقد حاول هؤلاء الأمراء المحليون جهدهم للمحافظة على هذا الاستقلال الذاتي، بل التحرر من سلطة مملكة ليون؛ ابن الأبار: الحلة السيراء، ج١، هامش ص١٣٥، ١٣٦ ؛ خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ١٣٩- ١٤١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج ١، ص ٢١٦.

(٢) بني قسي: جدهم الأعلي، الكونت قسي (Kasi) من أشراف القوط، وكان وقت الفتح "قومس" (Comes) الثغر الأعلي، فلما غزا المسلمون أراضيه سار إلي الشام، واعتنق الإسلام على يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك، وذلك لكي يحتفظ في ظل الغزاة الجدد، بأملاكه وسلطانه الإقطاعي، واعتبر بإسلامه على يدي الخليفة من مواليه، وانحاز بطريق هذا الولاء إلي جانب المضرية؛ ويبدأ ظهور بني قسي على مسرح الأحداث السياسية في الأندلس منذ عهد عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م) وأصبح أولاده وأحفاده من بعده زعماء المولدين في الثغر الأعلي وكانوا يمتازون بالجرأة والإقدام والشجاعة، ويعتزون دائماً بأصلهم القوطي النصراني وكانت لهم دائماً علائق مصاهرة مع الأمراء النصارى البشكنس وغيرهم، وكان إسلامهم في الواقع سطحياً لاغتنام السلطان والنفوذ، وكانوا لا يشعرون بالولاء نحو حكومة قرطبة يصانعونها متي وجبت المصانعة احتفاظاً بمركزهم وسلطانهم في الثغر، ولكنهم لا يحجمون عن انتهاز أية فرصة للثورة عليها ومحالفة أعدائها من النصارى، ولعبت هذه الأسرة دور خطير في ثورة المولدين الكبري على قرطبة . ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ص ٢٦٠؛ كمال السيد: المولدون في الثغر الأعلي الأندلسي، ص ٤٧ .

(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٣٥-٢٣٦؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٣٩ .

(٤) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

التي تتباينُ فيما بينها[١]، ففي معركةِ الخندقِ[٢] Alhandega (٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) هُزِمَ جيشُ الناصرِ، ونجا هو بأعجوبةٍ في نَفَرٍ يسيرٍ، وفي كتابِهِ بعدَ هزيمتِهِ أشارَ إلى " خنادقٍ وَعرَةٍ ومهاوٍ تتقاذف وأجرافٍ منقطعةٍ قد عَرَفَها المشركون وقَدِمُوا إليها"[٣] ومن الممكن أن يُقالُ الشيءُ نفسه عن معاركٍ أخرى كبيرةٍ كمعركةِ الزلاقة[٤] Sagrajas، والأراك[٥] Alarcos[٦].

ولقد فرضتْ جغرافيةُ الأندلسِ على زعمائِها سياسةِ اتخاذ الرهائن من الخارجينِ عن سلطانهم، و في سبيل أن يسيطر كذلك خلفاء الأندلس على المغربِ اتخذوا الرهائن من زعمائهِ، ويروي ابن عذاري، أن عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر[٧] (٣٩٢-

---

(١) محمد عبد الحميد عيسي: الفتح الإسلامي للأندلس ، مكتبة سعيد رافت ، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٧٣ .

(٢) معركة الخندق (٣٢٧هـ/٩٣٩م): تعتبر من أشهر المعارك بين المسلمين والنصارى في الأندلس، وكان الخليفة الناصر قد أستعد استعدادا كبيرا لقتال رامیرو الثاني ملك ليون و التقي الناصر بجيوش ليون ونبرة عند أسوار بلدة شنت مانتش (Simancas)، وجعل عبد الرحمن الناصر القيادة العليا للجيش لقائد من مواليه الصقالبة= = يسمي نجدة بن حسين، مستمرا في سياسته التي تعتمد على الصقالبة في جيشه، مما أدى إلي تغير نفوس العرب لتقديم الصقالبة عليهم، فأجتمعوا على خذلانه، فتركوا الصقالبة وحدهم عند بدء المعركة، مما أدى إلي الهزيمة، وتراجع المسلمون فتساقط الكثير منهم في خندق كان النصارى قد حفروه ولذلك تسمي هذه المعركة بمعركة الخندق، فأمر الناصر أن تقام المصالب على ضفة نهر قرطبة، و قبض على نحو ثلاثمائة من الفرسان، فصلبهم " . ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ٣٦ ، ٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص ٤١٩-٤٢١؛ حمدي عبد المنعم: ثورات البربر، ص ٦٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٩٤ .

(٣) ابن حيان: المقتبس، تحقيق شالميتا، ص٤٤٢ ؛ عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية، ص ٥٢ .

(٤) الزلاقة: الزلاقة سهل بالأندلس يقع شمالي بطليوس جرت فيه الوقعة الشهيرة بين المعتمد بن عباد يعاونه البربر بقيادة يوسف بن تاشفين ومن انضم إليه من ملوك الأندلس وبين الفونسو السادس (الأذفنش) ملك قِشْتَالَةْ (castilla) وقعت معركة الزلاقة في يوم الجمعة سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)، وأنهزم فيها النصارى، وطعن الفونسو السادس ملك قشتالة وهرب مع بعض جنوده صوب مدينة طليطلة. ابن الأثير: الكامل ، ج٨، ص٤٤٥- ٤٤٧؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٢،ص ٢٩ ، ٣٠ ؛الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص٨٣ - ٩٤.

(٥) الأراك : حصن الأرك على بعد عشرين كيلومترا إلي الشمال الغربي من قلعة رباح، على أحد فروع نهر وأدى آنه، وهي نقطة الحدود بين قِشْتَالَةْ والأندلس، حيث تجهز الفونسو الثامن ملك قِشْتَالَةْ للقاء المسلمين عندما سمع بعبور الموحدين بقيادة أبو يوسف يعقوب بن عبد المؤمن وطلب العون من ملكي ليون وونبارة وملوك إسبانيا المسيحية واستصرخ البابا في روما وقدمت جيوش من فرنسا والمانيا وهولندا وغيرها من الديار الأوربية، وكانت معركة الأراك في (٩ شعبان٥٩١هـ/٨ يولية ١١٩٥م) وانتهت بهزيمة النصارى على نحو مروع . ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص ٢٣٦ - ٢٣٨؛ السلاوي: الإستقصا، ج٢، ص١٩١؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام٢١٠ ، ٢١١ .

(٦) عبادة كحيلة: الخصوصية الأندلسية ، ص ٥٦ .

(٧) عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر: مولده بقرطبة سنة (٣٦٤هـ/٩٧٤م) تولي السلطة الفعلية بعد وفاة أبيه أبيه، يوم الإثنين (٢٧ رمضان ٣٩٢هـ/ ١١ أغسطس ١٠٠٢م) وكان في الثامنة والعشرين من عمره وأصدر الخليفة هشام المؤيد بالله مرسوما بتقليده الحجابة وتدبير شئون الدولة، وأسقط عبد الملك عن البلاد سدس الجباية، وإزدادت محبة العامة له، وتلقب بسيف الدولة " الملك المظفر بالله؛ وكان قليل بضاعة العلم، فلم يكن للأدب في أيامه ما كان له في أيام أبيه، وكان منهمكا في الفروسية وآلاتها إلا أنه تمسك بمن كان يألفهم أبوه " من خطيب وشاعر ونديم " وكما يقول ابن بسام، وقررهم على مراتبهم، ولم ينقصهم سوي الاختلاط به وحضور مجالس أنسه، في جملة خاصته؛ وكان محبا لإظهار أبهة الملك، غزا الإفرنج سبع غزوات، ومات في

٣٩٩هـ/١٠٠٢- ١٠٠٨م) الملقب بـ المُظَّفر، حين تولَّى الحجابة لـ "هشام بن الحكم"[١] بعد وفاة أبيه، عقد للمعزّ بن زيري بن عطية[٢] على فاس[٣] سنة(٣٩٧هـ/١٠٠٧م)، وقبضَ على ابنهِ المسمّى "معنصر" رهينةً[٤].

ولقدْ فرضتْ جغرافيةُ الأندلسِ على ساكنيها أنْ يكونوا في حالةِ حربٍ شبهِ دائمةٍ معَ جيرانهم، لذلك عُدتْ الأندلسُ في نظرِ المسلمينَ ثغراً للدولةِ الإسلاميةِ، وأرضاً للجهادِ والمرابطةِ، ولقدْ فرضَ هذا الوضعُ عليها أن تستقبلَ المتطوعينَ والمجاهدينَ مِنَ القبائلِ العربيةِ والبربريةِ التي تمدُّ الدولةَ بالجيوشِ اللازمةِ للجهادِ[٥]، ولحمايةِ البرِ الأندَلسي مِنَ الأخطارِ الخارجيةِ أنشأ الأندلسيونَ العديدَ مِنَ الرباطاتِ في المدنِ المهمةِ، التي كانتْ بمثابةِ قواعدَ

السابعة منها بمقربة من أرملاط (Guadimellato) بعلة الذبحة، وقيل مسموما، وذلك يوم الجمعة (١٦من صفر سنة٣٩٩هـ/٢١من أكتوبر سنة ١٠٠٨م) . ابن بسام: الذخيرة، ق٤، مج١، ص ٧٨؛ ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء،ص٦٥ ، ٦٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٣، ص٣ ، ٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٧، ص٢٩٢؛ ابن الخطيب: أعمال لأعلام ،ج٢، ص ٨٣ ، ٨٤ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٢، ص٦٢٣ .

(١) هشام بن الحكم: كنيته: أبو الوليد، لقبه: المؤيد بالله، أمه: صبح البشكنشية، أم ولد، بويع له يوم الاثنين لأربع خلون من صفر سنة(٣٦٦هـ/ ٤٠٨م) بعهد من أبيه، وهو ابن إحدي عشرة سنة وثمانية أشهر، وخلع يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة، سنة (٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م) فكانت خلافته الأولي إلي أن قامت الفتنة ثلاثا وثلاثين سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام، وكانت خلافته الثانية في سنة (٤٠٠-٤٠٣هـ/ ١٠١٠-١٠١٢م) فكانت سنتين وعشرة أشهر، الجميع الذي كمل له في المدتين ستة وثلاثون سنة وشهران وعشرة أيام، صفته: أبيض، أشهل، أعين، خفيف العارضين، لحيته إلي الحمرة، حسن الجسم، قصير الساقين، مائل إلي العبادة، مقبل على =

= تلاوة القرآن ودرس العلوم، كثير الصدقات على الضعفاء والمساكين، نقش خاتمه (هشام بن الحكم، بالله يعتصم) . الحميدي: جذوة المقتبس، ص١٧؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج٢، ص٢٥٣؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام ،ص ٤٣؛ المقري: نفح الطيب، ج ١، ص ٣٩٦ .

(٢) المعزّ بن زيري: المعز بن زيري بن عطية بن عبد الله الزناتي المغراوي، من ملوك فاس في أواخر عهد بني أمية بالأندلس، أقامه بنو عمه أميرا عليهم بعد وفاة أبيه سنة (٣٩١هـ/ ١٠٠٠م) وجاءه تقليد المظفر بن أبي عامر بولايته على المغرب كله، ما عدا سجلماسة، فأقام تابعا لقرطبة إلي أن إنقرضت الدولة الأموية بعد انقراض الدولة العامرية، فاستقل بالأمر، واستمر إلي أن توفي بفاس (٤٢٢هـ/١٠٣٠م) . المقري: نفح الطيب،ج ١، ص٤٢٣؛ السلاوي: الإستقصا، ج١، ص٣٧٣-٢٧٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٢٧٠ .

(٣) فاس: مدينة من أهم مدن المغرب الأقصى ، بناها إدريس بن عبدالله بن الحسن المثني سنة (١٧٢هـ/ ٧٨٨م) أول ملوك الأدارسة وأتم بناءها ابنه إدريس الثاني سنة (١٩٣هـ/ ٨٠٨م) كانت في القديم بلدين، لكل منهما سور يحيط به وأبوب تختص به، والنهر فاصل بينهما، وكانت كل بلدة تقوم على عدوة (مرتفع)، فكانت إحدي العدوتين تسمي عدوة القرويين لنزول العرب الوافدين من القيروان إليها، وسميت الأخرى عدوة الأندلسيين لنزول العرب الوافدين من الأندلس فيها . المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٠٣-٢٠٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٥٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠ ، ٢٣١؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٤٣٤، ٤٣٥.

(٤) ابن عذاري: البيان المغرب، ج١، ص٢٥٣؛ السلاوي: الإستقصا ، ج١، ص٢٧٣ .

(٥) السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٣٩٢ .

عسكرية مثَلَ الرباطاتِ في مدينةِ سرقسطة و طليطلة ومدينة سالم[١] ومدينة لاردة[٢] وطرطوشة[٣] وغيرها مِنَ المدنِ ، وإلى جانبِ الرباطاتِ البريةِ كانتْ هناكَ رباطاتٌ على السواحلِ، وأُنْشِئَت دورٌ لصناعةِ السفن ونهضتْ البحريةُ الأندلسية نهضةً سريعةً[٤] وانتشرتْ الرباطاتُ عِندَ السواحلِ، وأشهُرها رباط المرية[٥] الواقع على الساحلِ الشرقي للأندلس الذي أضحى فيما بعد القاعدة الرئيسيةَ للأسطولِ الإسلامي بالأندلسِ[٦]، ويَذْكر البكري[٧] أن

(١) مدينة سالم: (medinaceli) تقع شمال مدريد بنحو ١٥٣ كيلو متر في الطريق الذي بين مدريد وسرقسطة وهي الآن من أعمال مقاطعة سورية (Soria) ومدينة سالم قديمة البنيان ، وقد عرفت في العصر الروماني بإسم (Qcilis) وعندما فتح المسلمون إسبانيا يقال إن طارقا عثر فيها على مائدة سليمان وعمر هذه المدينة زعيم مغربي مصمودي إسمه سالم بن ورعمال المصمودي الذي يحتمل إن يكون من قادة الرعيل الأول الذي قام بفتح إسبانيا ، ومن ذلك الوقت عرفت هذه المدينة بإسم هذا القائد سالم تم إعادة بناء مدينة سالم على يد الخليفة عبدالرحمن الناصر واتخذها ثغرا ضد (قِشْتَالَةْ) . ابن الكردبوس: الإكتفاء في أخبار الخلفاء، ص ٦٠.

(٢) لاردة (Lerida): تقع شرقي قرطبة بنيت مدينة لاردة على وأدى نهر شقر (Segre)، وتقع في منطقة إلي الشرق من سرقسطة، في منتصف الطريق بينها وبين برشلونة، وكانت القاعدة الثانية بعد سرقسطة في منطقة الثغر الأعلي وتقع شمال شرق قرطبة ويحدها من الجنوب الغربي إشبيلية، ومن الجوب الشرقي غرناطة، وهي مدينة خصبة وبها بساتين وفواكه كثيرة، ويجود في أرضها الكتان الذي تصدره إلي جميع نواحي الثغور، و سقطت مدينة لاردة نهائيا سنة (٥٤٤هـ / ١١٤٨م) على يد رامون برنجر الرابع قومس برشلونة . ياقوت ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥ ، ص ٧ ؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٥٠٧؛ حتاملة: موسوعة الديار الأندلسية، ج٢، ص ٩٢٨ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج٤، ص ٥٠٨ .

(٣) طرطوشة (Tortosa): تقع في شمال شرق إسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الإبرو ، جنوبي مدينة طركونة (Tarragona) وأشتهرت بدار صناعة السفن التي بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر لتوافر خشب الصنوبر بجبالها، هي آخر ثغور الأندلس في الشرق، وقصبة طرطوشة على صخرة عظيمة سهلة، وينسب إلي هذه المدينة الإمام أبو بكر محمد أبو الوليد الطرطوشي المتوفي بالإسكندرية سنة (٥٢٠هـ/١١٢٦م) . ابن الكردبوس: الإكتفاء هامش ص ١٠٠؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤ ، ص٣٠ ؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص٢٢٣؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٩١ .

(٤) حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ، ص ٩٥ .

(٥) المرية (Almaria): تقع على الساحل الشرقي للأندلس أمر ببنائها الأمير عبد الرحمن بن محمد عام (٣٤٤هـ / ٩٥٥م) وهي تقع في الجنوب الشرقي للأندلس ، وتقع بين مدينتي مالقة ومرسية على ساحل البحر ، وأتصفت بالحصانة وبنشاطها التجاري ، وفيها يقول الشاعر:

قالوا المرية صفها ... فقلت مظ وشيح فقيل فيها معاش ... فقلت إن هب ريح

إتخذها العرب مرابطاً وابتنت بها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد، وكانت المرية تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام، والمدينة بها جبلان بينهما خندق معمور، وعلى الجبل الواحد قصبتها وفي الجبل الثاني ربضها، والسور يحيط بالمدينة والربض، ولها أبواب عدة ، إستولي عليها النصارى نهائيًا في سنة (٨٩٥هـ/ ١٤٨٩م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص ١١٥؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص١٨٠؛ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٨٤م، ص١٣، ١٤؛ محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٦م، ص٣١ ، ٣٢ .

(٦) عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج٢، ص ٦٨٨ .

(٧) البكري: هو العلامة أبو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري نزيل قرطبة؛حدث عن: أبي مروان بن حيان، وأبي بكر المصحفي، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر، وكان رأسا في اللغة وأيام الناس؛ والأماكن وكان من أوعية الفضائل، صنف في أعلام النبوة، وعمل شرحا لأمالي القالي وفصل الخطاب له الكتب الجغرافية مثل المسالك والممالك ومعجم ما استعجم ، وكتاب " اشتقاق

الساحلُ الشرقي للأندلسِ ثغوره عامرة بالنشاطِ حيثُ احتشدتَ فيهِ جماعاتٌ مِنَ المرابطينَ[1]، وما يقالُ عَنْ المرية يقالُ عن المدن الأخرى في شرقِ الأندلس مثل مرسية[2] و دانية[3] ومالقة[4] وبلنسية[5] وشاطبة[6] حيثُ أصبحتْ هذهِ المدنُ رباطاً للمجاهدينَ

الاسماء، وتوفي سنة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) . الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ، ص ٣٥؛ ابن بسام: الذخيرة، ق ٢، مج ١، ص ٢٣٢ .

(١) البكري: جغرافية الأندلس وأوربا، ص٩٦.

(٢) مرسية: هي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دارا للعمال وقرارا للقواد، وكان الذي تولي بنيانها جابر بن مالك بن لبيد، وذلك في يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة (٢١٦هـ/ ٨٣١م)، وتقع مرسية على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع جليل وحمامات وأسواق عامرة، وهي رخيصة الفواكه كثيرة الشجر والأعناب وأصناف الثمر، وبها معادن فضة غزيرة، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة، وسقطت مدينة مرسية على يد الملك خايمي الأرجوني وذلك في في شهر فبراير سنة (٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) . العذري: نصوص عن الأندلس، ص ٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٥٣٩ ؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٦، ص ٤٦٣ .

(٣) دانية (denia): تقع شرق الأندلس من أعمال بلنسية، إستقل بها مجاهد العامري في عصر ملوك الطوائف وأستولي عليها المرابطون عام (٤٨٤ هـ/ ١٠٩٢م) وينسب إليها كثير من العلماء والقراء منهم شيخ القراء أبو عمر عثمان بن سعيد الداني المعروف بابن الصيرفي، وكذلك ينسب إليها أبو بكر محمد بن عيسي بن محمد اللخمي المعروف بابن اللبانة الأدب الشاعر صاحب كتاب (نظم السلوك في وعظ الملوك) المتوفي سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)، وسقطت مدينة دانية في يد النصارى في شهر(ذي الحجة سنة ٦٤١هـ/ مايو ١٢٤٤م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٤؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٢٣٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٦، ص ٤٥٩؛ السامرائي وآخرون: تاريخ العرب، ص ٢٩٠ .

(٤) مالقة (Malaga): مدينة على شاطئ البحر المتوسط، تقع جنوبي شرق إسبانيا أسسها الفينيقيون وأعطوها أسم مالكو(Malako) ومعناه المملح نسبة إلي مستودعات الأسماك التي كانت تجفف وتحفظ بها عليها سور صخر، والبحر في قبليها، يكثربها شجر التين، وهو يحمل إلي مصر والشام والعراق وربما وصل إلي الهند، ولها ريضان كبيران، وشرب أهلها من الأبار، ولها واد يجري في زمان الشتاء وليس بدائم الجري، بدأت حروب الاستيلاء على منطقة مالقة من قبل القشتاليين في سنة (٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م) ؛ فقد حاصر الملك فرناندو الكاثوليكي المدينة، وكانت مقاومة أهلها شديدة الي درجة أنها أصبحت اكثر الوقعات دموية في تأريخ سقوط مملكة غرناطة؛ وتم استسلام =

= المدينة غير المشروط في (٨٩٣هـ/ ١٨ أغسطس ١٤٨٧م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٤٣ ، ٤٤؛ الحميري: الروض المعطار ، ص ٥١٧ ، ٥١٨ ؛ محمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية، هامش ص٥٤ .

(٥) بلنسية (valencia) من مدن شرق الأندلس بينها وبين قرطبة على طريق بجانة ستة عشر يوما وهي مدينة سهلية كثيرة الحصون والقلاع تعرف بمدينة التراب، وأهلها يسمون عرب الأندلس، يحدها من الشمال طرطوشة ، ومن الجنوب دانية ومرسية، ومن الغرب طليطلة ، وتطل بوجهها الشرقي على البحر المتوسط ، وكان الروم تغلبوا على بلنسية قديماً ثم أحرقوها عند خروجهم منها سنة (٤٩٥هـ/١١٠١م) فقال أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة: عاثت بساحتك العدا يا دار... ومحا محاسنك البلي والنار

فإذا تردد في جنابك ناظر ... طال اعتبار فيك واستعبار

أرض تقاذفت النوي بقطينها... وتمخضت بخرابها الأقدار

ثم في سنة (٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م) ملك الروم بلنسية صلحاً واستولي عليها ملك أرغون جاقه، وأكثر أدباؤها بكاءها والتأسف عليها . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج، ص ٤٩٠؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٧- ٩٩؛ كمال السيد أبو مصطفي: تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية، مركز القاهرة للكتاب، الإسكندرية (د . ت)، ص ٤٧، ٤٨.

(٦) شاطبة: تقع شاطبة على سفح جبل فيرنيسا Vernissa، و اعتبرت بعد سقوطها في يد النصارى من أمنع قلاع مملكة أراغون؛ دخلها الأرجونيون بقيادة ملكهم خايمي الاول صلحا في آخر صفر سنة(٦٤٤ هـ/ يوليه ١٢٤٦م) فنقضوا الهدنة مع المسلمين وأرغموهم على الجلاء في رمضان سنة (٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م) . العذري: نصوص عن الأندلس، ص ١٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٣٣٧؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام: ج ٦، ص ٤٥٩.

وثغراً منْ ثغورِ شرقِ الأندلسِ وقاعدةً ينطلقونَ منها للجهادِ ، أما ساحلُ الأندلسِ الغربي المطلُ على المحيطِ الأطلسي فقد وُجِدَتْ فيه عدةُ رباطاتٍ مثلَ رباطِ شلب[١] وبطليوس [٢].

أثرُ تنوعِ عناصرِ المجتمعِ الأندلسي في سياسةِ إتخاذِ الرهائنِ .

كانَ المجتمعُ الأندلسي يتكونُ منْ عناصرَ شتي، تنوعتْ أصولُها البشريةُ وعقائدُها وثقافاتها، ولعبتْ هذهِ العناصرُ دوراً هاماً في تطورِ الأحوالِ السياسيةِ في الأندلسِ وفي توجيهِ الصراعِ بينَ أجناسهِ المختلفةِ[٣] فكانتْ البيئةُ الاجتماعيةُ في الأندلسِ غيرَ منسجمةٍ، لأنها تتألفُ من شعوبٍ وأجناسٍ مختلفةٍ تتنافرُ مصالحها معَ بعضِها البعض، ولا يجمعُها سوى قوة السلطةِ المركزيةِ في قرطبة وذلك في أوقاتِ القوةِ[٤] .

فعندما دخل المسلمون الأندلسَ، أخذوا يَسْعَوْنَ لنشرِ الإسلامِ وتأصيلِ مبادئهِ في نفوسِ المسلمينَ الجدد، ولم تمضِ مدةٌ وجيزةٌ إلا وقد انصهرَ معظمُ سكانِ الأندلسِ في بوتقةِ الإسلامِ على مختلفِ طبَقاتهم وفئاتِهم[٥]، ولكنْ عندما ظهرَ التنافسُ على المُلك والبعدُ عنْ

(١) شلب (silves): تقع غرب الأندلس وهي إحدي القواعد العسكرية، وسكنها عرب اليمانية، ومعظم سكانها فصحاء يقولون الشعر ويمتازون بالكرم، استولي سانشو الثاني عليها سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م) . الحميري: الروض المعطار، ص٣٤٢ ؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ١٥٢؛ عبد الله عنان: دولة الإسلام، ج٦، ص٦١١.

(٢) بطليوس (Badajoz): تقع غربي مدينة قرطبة على الضفة اليمني لنهر وأدى يانة قبل أن يصب في المحيط الأطلسي بنحو ستين كيلومترا وهي من أعمال مدينة ماردة ، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد الله، وسقطت بطليوس على يد الليونيين (البرتغاليين) سنة (٦٢٧هـ/ ١٢٣٠م) . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٤٧؛ الحميري: الروض المعطار، ص ٩٣؛ ابن غالب: فرحة الأنفس، ص ٢١؛ سحر السيد عبد العزيز: تاريخ بطليوس، ج١ ، ص ١٣٧.

(٣) عبد الله عنان: دولة الإسلام ، ج١ ، ص ٦٧ .

(٤) خليل السامرائي وآخرون: تاريخ العرب ، ص ١٢٥ .

(٥) عبد الرحمن على الحجي: التاريخ الأندلسي ، ص ١٣١ .